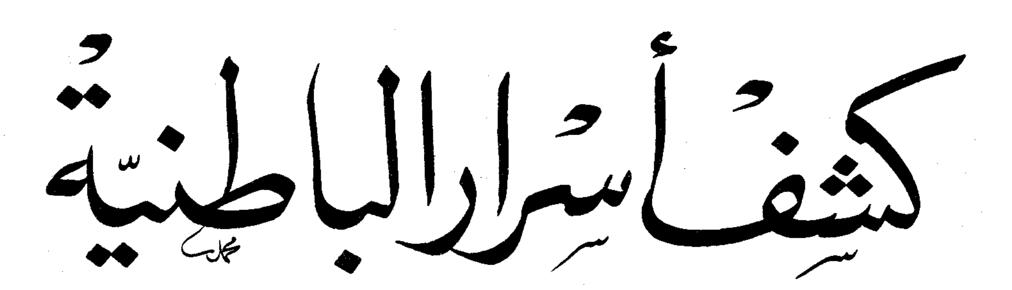


وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم

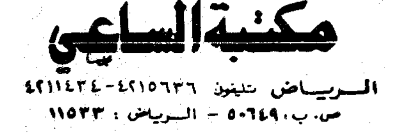
للشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل

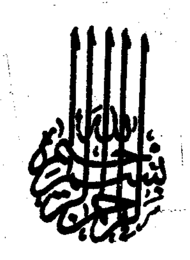
الحمادي اليماني

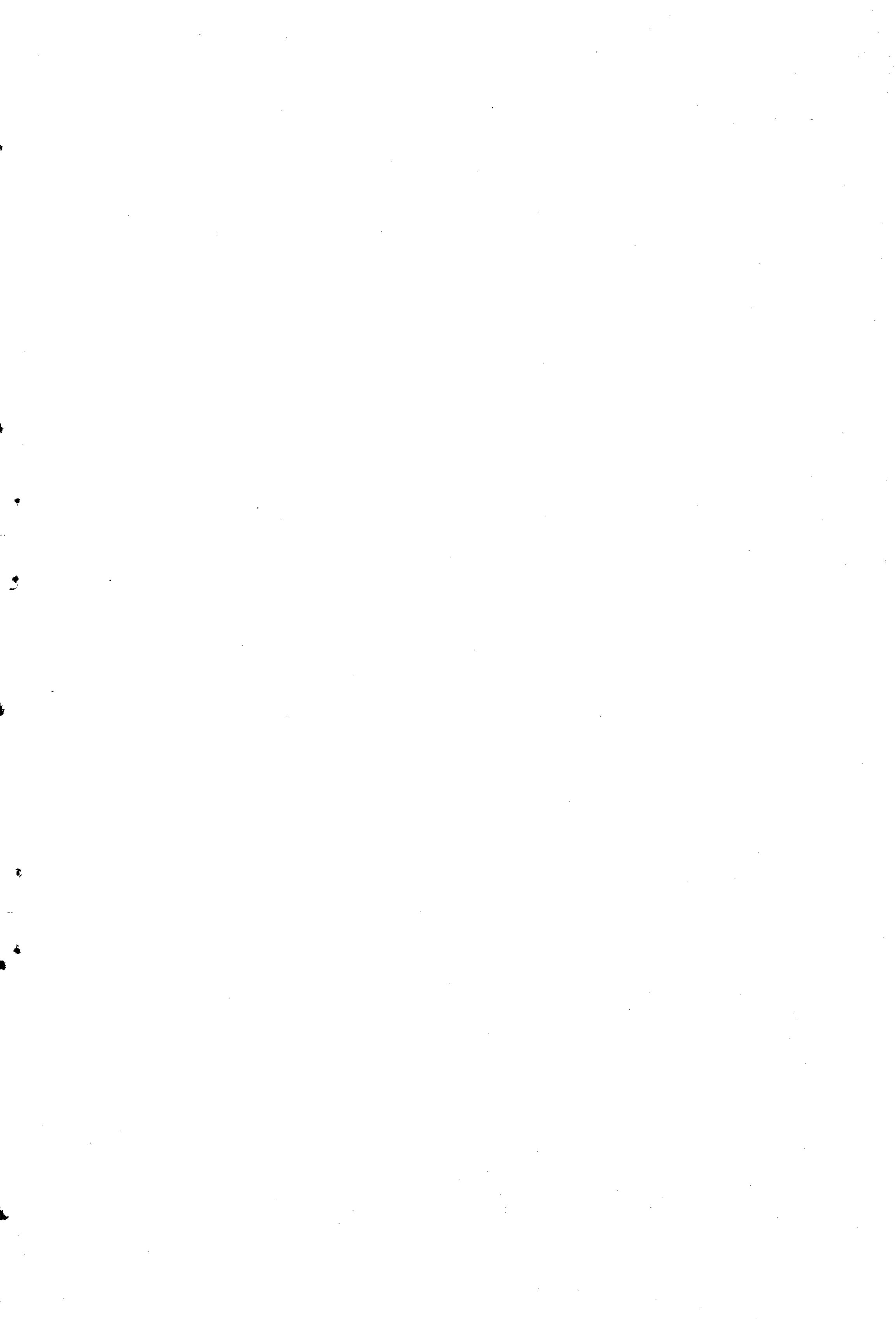
المتوفى نحو ٤٧٠ هـ = نحو ١٠٧٧ م

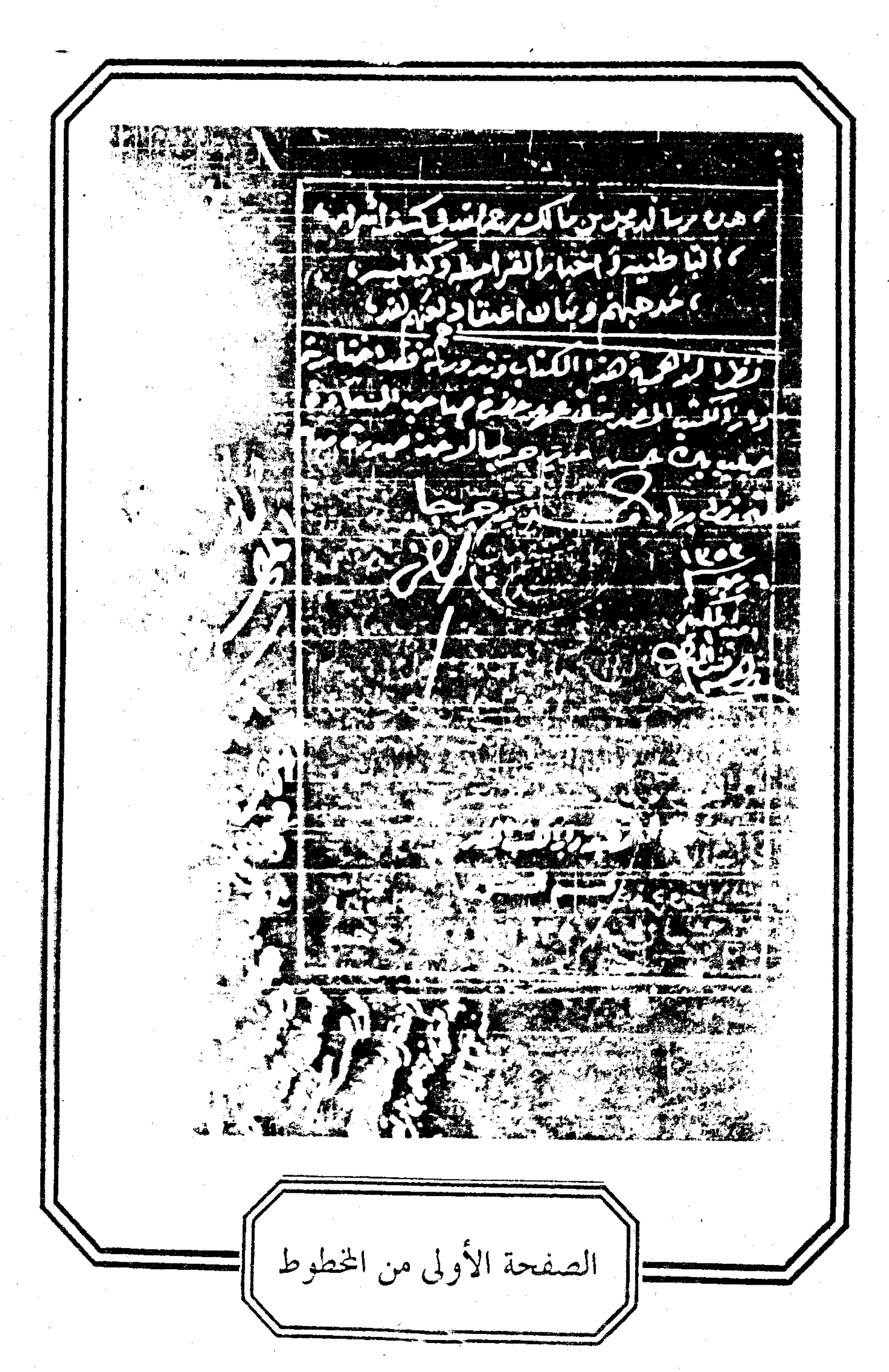
دراسة وتحقيق

محمد عثمان الخشت

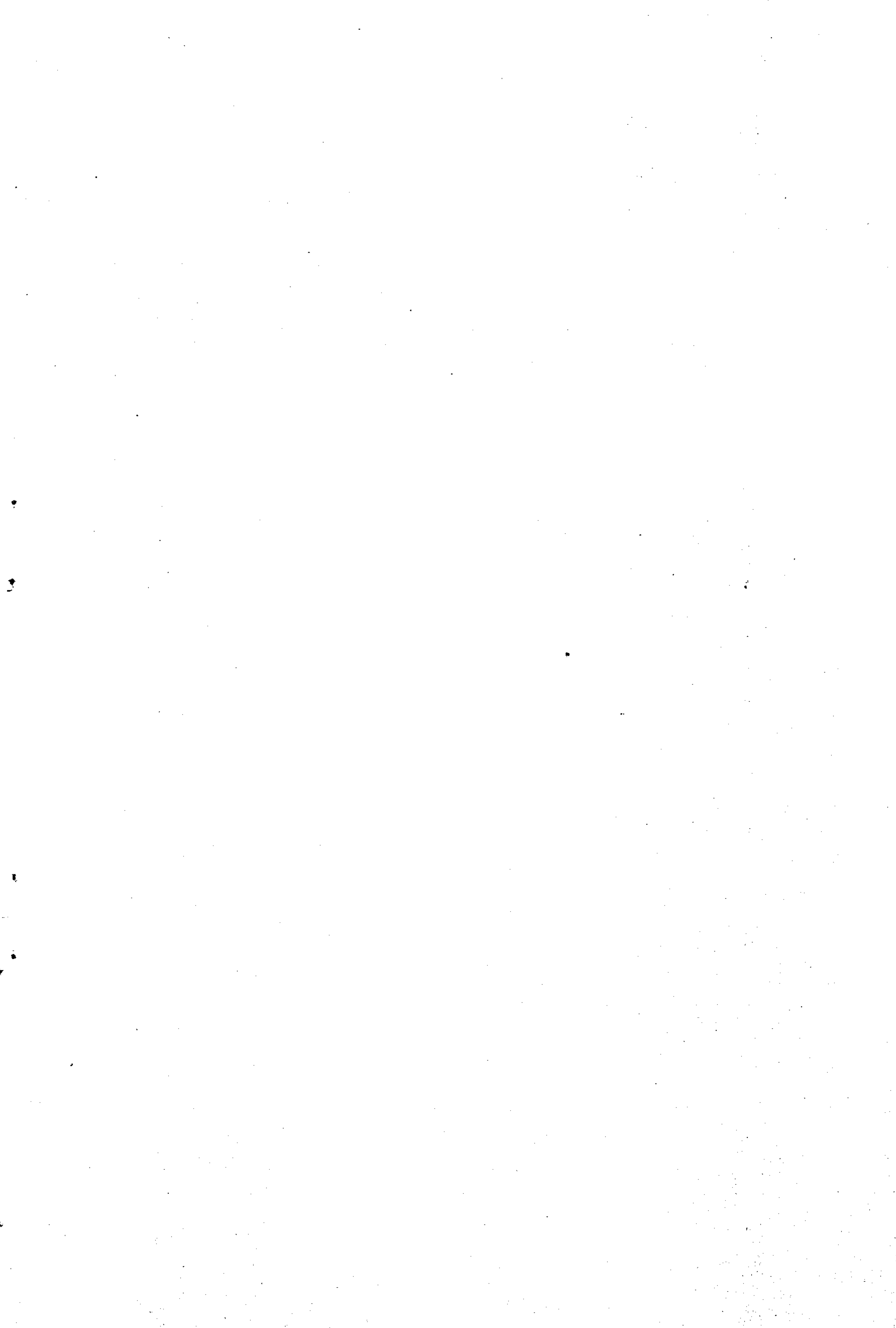


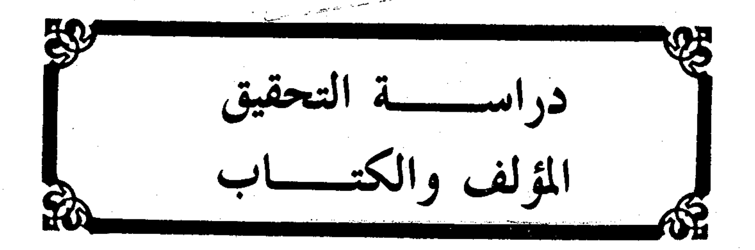




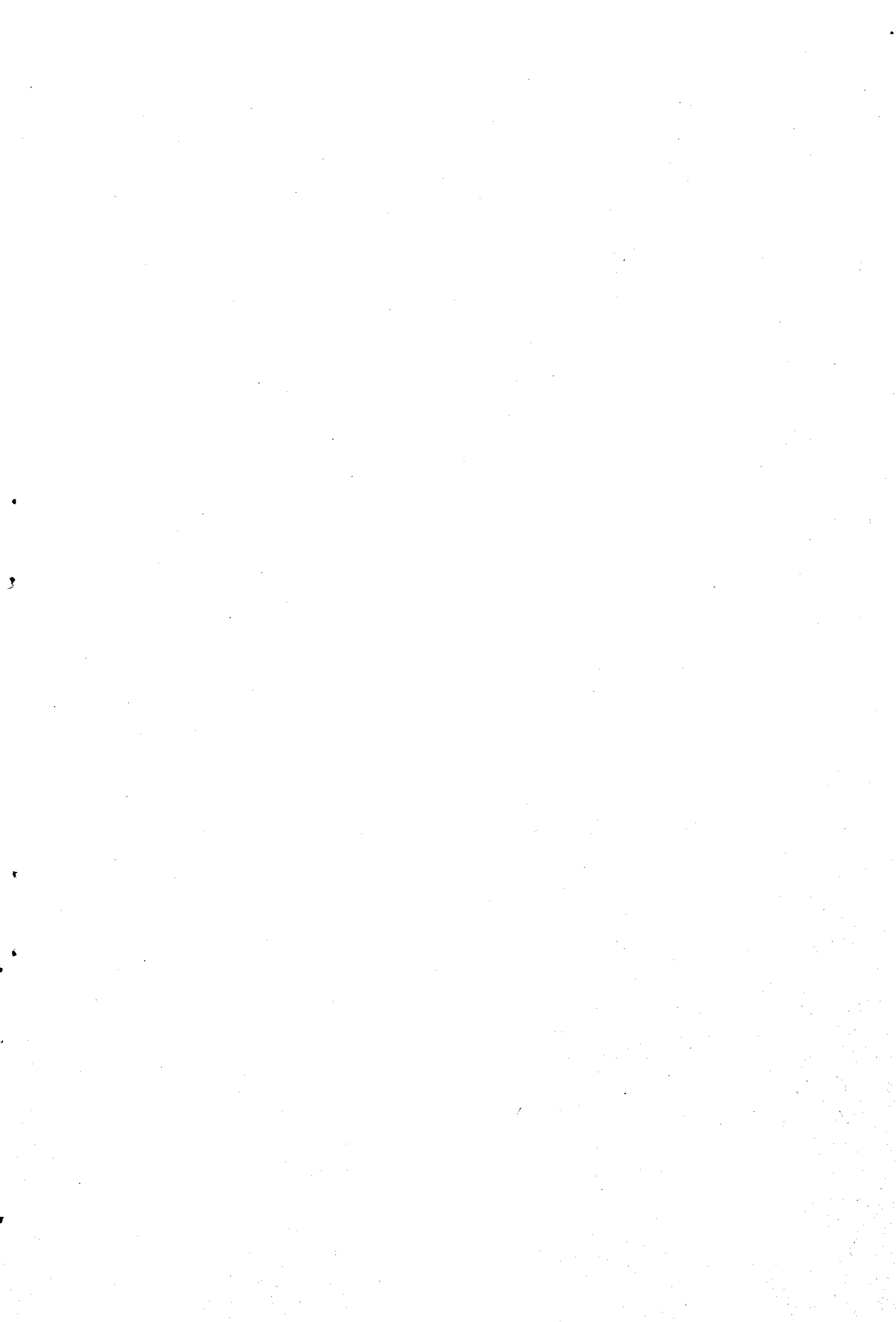

هذه رسالة محمد بن مالك رحمه الله في كشف أسرار
الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية
مذهبهم وبيان اعتقادهم لعنهم الله

الصفحة الأولى من المخطوط





- حياة المؤلف الفكرية .
- مضمون الكتاب .
- منهج الكتاب .
- أسلوب الكتاب .
- التصنيف فى المذاهب الباطنية قبل محمد بن مالك .
- منهج التحقيق .



دراســـة التحقيق
المؤلف والكتـاب

● حياة المؤلف الفكرية :

مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن مالك بن أبى الفضائل الحمادى ، من أهل اليمن ، وقد عاش فى أواسط القرن الخامس الهجرى (٠٠٠ ـ نحو ٤٧٠ هـ = ٠٠٠ ـ نحو ١٠٧٧ م) .

وللأسف لم تسجل أى من المظان التاريخية شيئاً عن حياته يتجاوز ماذكره هو فى كتابه « كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » ، ولم يأتنا أى كتاب آخر له باستثناء هذا الكتاب .

وكما يتضح من سياق كلامه فى الكتاب المذكور أنه كان معاصراً للدولة الصليحية فى اليمن ، وعاش حتى نحو عام ٤٧٠ هـ ، ففى نهاية الكتاب مايدل على أنه مات بعد زواج الحرة « أروى بنت أحمد » بالمكرم الصليحى أحمد بن على ، وليس فيه مايشير إلى إدراكه وفاة على بن محمد سنة ٤٧٣ هـ، فقد عاصر عهد الإمام المستنصر من خلفاء الفاطميين بمصر ، بدليل أن آخر إمام ذكره من أئمة الفاطميين كان هو هذا الرجل .

وقد كان فى بدء حياته الفكرية على طريقة أهل السنة والجماعة ، حتى نشأت الدولة الصليحية القرمطية ، فكان يسمع عن معتقدات مؤسسها أبى الحسن على بن محمد الصليحى ، وأغلب ماكان يسمعه عنه كلاماً سيئاً ينتقد معتقداته بشدة ، بل ويكفره ويكفر مايصدر عنه من أعمال وسلوكيات، وبحكم ما كان يتحلى به محمد بن مالك ـ كما يبدو ـ من موضوعية لم يكن يصدق مايسمعه أو يكذبه ؛ لأن الذين كانوا يتحدثون لم يكن لديهم دليل يبرهنون به على صدق

دعاويهم ، فقرر أن يدخل إلى مذهب الصليحى القرمطى ، حتى يتبين له حقيقة الأمر ، وبالفعل تظاهر باعتناق المذهب ، واطلع على كتبه اطلاع المتصفح ، وهنا ظهر له مخالفة ما رآه وسمعه وقرأه لعقيدة أهل السنة والجماعة مخالفةً عميقة ، فعقد العزم على كتابة تجربته مع هذا التيار ، لكى يكشف النقاب عن الأسرار الخبيئة له ؛ فيعرف المسلمون ماهيته وتعاليمه ومدى اتساقها أو تناقضها مع القرآن والسنة كما يفهمهما أهل السنة والجماعة .

● مضمون الكتاب :

من المعلوم أن الباطنية فرق عديدة ، تتشابه فيما بينها فى الكثير وتختلف فى القليل ، والمؤلف لا يتناول كل هذه الفرق ، وإنما يتناول فرقة واحدة فقط هى فرقة القرامطة ، بل لا يتناول كل ما يتعلق بهذه الفرقة تاريخياً وعقائدياً ، وإنما يعرض فقط لها كما ظهرت فى اليمن ، وإن كان أحياناً يعرج على بعض أخبارها فى مناطق أخرى .

وهو يبتدىء كلامه فى هذا المضمار ببيان تجربته مع القرامطة الصليحيين ، موضحاً أساليبهم وتكتيكاتهم فى الدعوة إلى مذهبهم ، وكيفية تدرجهم بالمستجيب شيئاً فشيئاً فى درجات ومراتب المذهب . ويكشف النقاب عن تعاليمهم ، وآرائهم ، وعقائدهم ، وسلوكياتهم .

ثم ينتقل إلى العرض التاريخى لأصل دعوة القرامطة ، وجذورها وتطورها ، فيتحدث عن ميمون القداح وعن ابنه ، ويذكر نشاطهما فى تأسيس الدعوة ونشرها ، ثم ينتقل إلى الحديث عن أهم رجالاتها وناشريها فى العالم الإسلامى ، مثل : أبو سعيد الجنابى ، والحسن بن مهران ، وزكرويه بن مهرويه ، وعلى بن فضل ، والمنصور الحسن بن زاذان ، ويركز على تاريخ هذين الرجلين الآخرين ؛ لدورهما البارز فى

إدخال الدعوة القرمطية إلى اليمن ، وتأسيس دولة القرامطة فيها .

ويحرص أثناء العرض لتاريخ هؤلاء على إبراز تعاليم المذهب ، ويكثف الحديث عند ذكر الصراعات والمناوشات بين كتائب الحركة والجيوش المضادة .

وقرب نهاية الكتاب يذكر أولاد المنصور ، واستخلاف عبد الله بن عباس الشاورى وولايته الدعوة ، وعلاقته بعبيد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية فى شمال إفريقيا .

وآخر مايسجله فى كتابه : بيان ابتداء دولة الصليحيين وشىء من تاريخها ، ثم يختم بتحذير المسلمين من الوقوع فى شباكهم ومن الانخداع بتعاليمهم .

● منهج المؤلف فى الكتاب :

عندما يستقرىء المرء الكتب المصنفة فى مجال الفرق الباطنية ، يجد أن مصنفيها لم يخرجوا عن ثلاثة مناهج فى عرضهم لهذه الفرق ، هذه المناهج هى :

١ ـ المنهج الاستردادى : الذى يحرص منتهجوه على ردّ أفكار الباطنية ومعتقداتهم وكافة تعاليمهم ، إلى أصولها الفلسفية والدينية ، فيُظهرون ماأخذه مفكرو الباطنية عن المذاهب القديمة ، مثل : الهرمسية ، والأفلاطونية المحدثة ، والمانوية واليهودية ، وماإلى ذلك من فلسفات وديانات . كما يحرصون على كشف وسائلهم التى يتبعونها فى تحوير هذه الأفكار وتنميقها وتوظيفها بالشكل الذى يتلاءم مع أهدافهم .

٢ ـ المنهج البنيوى الجدلى : الذى يقتصر متبعه على بيان سمات مذهبهم ، ومبادىء دعوتهم ، وبنية عقائدهم ، ثم يعرج على محاجتهم

والجدال معهم ، محاولًا تصديع أركان عقيدتهم ، وإثبات خطأ منهجهم .

٣ ـ المنهج التأريخى : وهذا هو منهج المؤرخين ، الذين يوردون فى مصنفاتهم أخبار وتواريخ الحركة ، وكيفية ظهورها وانتشارها . ويذكرون أهم رجالها ودور كل منهم ومدى نجاحه أو إخفاقه ، مع التركيز على بيان حروبهم وصراعهم مع الفرق المضادة .

هذه هى المناهج الثلاثة التى ينتهجوها المصنفون فى هذا المضمار . وإذا ما أردنا معرفة موقع كتاب محمد بن مالك « كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » من هذه المناهج ، أو معرفة موقع هذه المناهج من كتابه ، فلا شك أنه ينتمى إلى أصحاب المنهج الثالث : المنهج التأريخى .. فهو يذكر أخبارهم وتواريخهم وحروبهم ، وهذا هو الأساس والجوهر فى عمله ، وإن كان الأمر لا يخلو من التحويم حول جزء من المنهج الثانى ولكن من بعيد جداً .

● **أسلوب الكتـــاب :**

أسلوب المؤلف فى هذا الكتاب هو أسلوب السرد الحكائى ، وهو بسيط خالٍ من التعقيد ، موجز بعيد عن الإسهاب ، يخلو من أساليب الجدال ، ويفتقد إلى الحوار البرهانى ؛ ويقف عند حدود أسلوب الإقناع الخطابى ، ولا أدل على ذلك من أن المؤلف عندما يريد أن يفند رأياً من أرائهم أو ينقد فكرة من أفكارهم ، فإنه يكتفى بإعلان السخط ، والدعاء باللعن ، والحكم بالتكفير ، دون أن يورد الحيثيات البرهانية ، ولك أن تقارن فى هذا الصدد بينه وبين القاضى عبد الجبار أو الغزالى أو عبد القاهر البغدادى ، فيتبين لك البون الشاسع بينه وبينهم .

التصنيف فى مذاهب الباطنية وتاريخهم قبل محمد بن مالك :

سبق مؤلفون عديدون ــ تاريخياً ــ محمد بن مالك فى تصنيف الكتب عن الباطنية بفرقها المختلفة والرد عليها :

فقد قام أبو عبد الله بن رزام بتأليف كتاب فى الرد على الباطنية ، وذلك فى نهاية القرن الثالث ومطلع الرابع الهجرى .

ثم أرّخ لهم ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الحرانى فى تاريخه الكبير ، وقد بدأ ثابت تأريخه لهم ولغيرهم من عهد الخليفة المقتدر المتوفى سنة ٣٢٠ هـ = ٩٣٢ م ، ووصل بتاريخه حتى الأحداث التى وقعت قبل وفاته مباشرة سنة ٣٦٥ هـ = ٩٧٥ م .

ثم ألّف محمد الملطى المتوفى بعسقلان سنة ٣٧٧ هـ = ٩٨٧ م ، كتابه المشهور : « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » ، وتعرض فى جزء منه لعقيدة القرامطة وفقههم ، وتعاليمهم .

ثم جاء سعد بن محمد أبو عثمان الغسّانى القيروانى فى نهاية القرن الرابع الهجرى ، فألّف كتاباً عن الفرق ، أفرد جزءاً منه فى بيان معتقدات الباطنية والرد عليها .

كما صنف القاضى محمد بن الطيب الباقلانى المتوفى ببغداد سنة ٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م كتابه الهام « كشف الأسرار فى الرد على الباطنية » ، (الذى أفاد منه ابن حزم ـ فيما بعد ـ فى كتابه « الفصل » ، والغزالى فى كتابه « فضائح الباطنية » .)

وقد كتب عنهم ورد عليهم القاضى عبد الجبار المتوفى بالرى سنة ٤١٥ هـ = ١٠٢٥ م ، وذلك فى كتابه القيم « تثبيت دلائل النبوة » .

ثم جاء إسماعيل بن على بن أحمد البستى ، الذى كان تلميذاً مرموقاً

للقاضى عبد الجبار ، وتوفى سنة ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩م تقريبا ، وألف كتابه « كشف أسرار الباطنية » الذى استعار اسمه محمد بن مالك مؤلف الكتاب الذى بين أيدينا .

وفى نفس هذه الفترة تقريبا صنف ابن سعيد الاصطخرى مؤلفاً فى بيان مذهب الباطنية والرد عليهم .

هذه ــ تقريباً ــ أهم الكتابات قبل الشيخ محمد بن مالك فى بيان فرق الباطنية والتأريخ لهم والرد عليهم ، ومؤلفوها إما إنهم من أهل السنة أو من المعتزلة .

وهناك تراث ضخم ألّفه رجال الباطنية أنفسهم قبل مجىء محمد بن مالك ، ولكنا فضلنا الاقتصار على ذكر المصنفات فى الرد عليهم ؛ لأن دراسة محمد بن مالك تنتمى إلى هذا النوع من المصنفات .

● **منهج التحقيق :**

اتبعت فى تحقيق هذا الكتاب المنهج الآتى :

١ ــ الاعتماد على مخطوطة دار الكتب المصرية ، والمصورة على ميكروفيلم برقم ٤٨٥١٨ أما المخطوطة نفسها فتحمل رقم « ١٠٤ » ومدرجة فى فن « التاريخ » .

٢ ــ تخليص النص من شوائب التصحيف والتحريف والأخطاء اللغوية وما إليها .

٣ ــ كتابة النص وفقاً لقواعد الإملاء المعاصرة ، وترقيمه بواسطة علامات الترقيم العصرية .

٤ ــ تنسيق الكتاب ، وتقسيمه إلى فقرات ، حتى يأخذ الشكل العصرى الذى يتلاءم مع مناهج الكتابة الحديثة .

٥ ـــ شرح الألفاظ الغامضة والمصطلحات بالاعتماد على كتب اللغة والمعاجم والموسوعات .

٦ ـــ بيان الأخطاء العلمية التى وقع فيها المؤلف ، مع ذكر الأدلة على التصويب .

٧ ـــ التعليق على المواضع التى اقتضت التعليق .

٨ ـــ التعريف بالأعلام الواردة فى متن الكتاب .

٩ ـــ التعريف بالبلدان والحصون التي أشار إليها المؤلف .

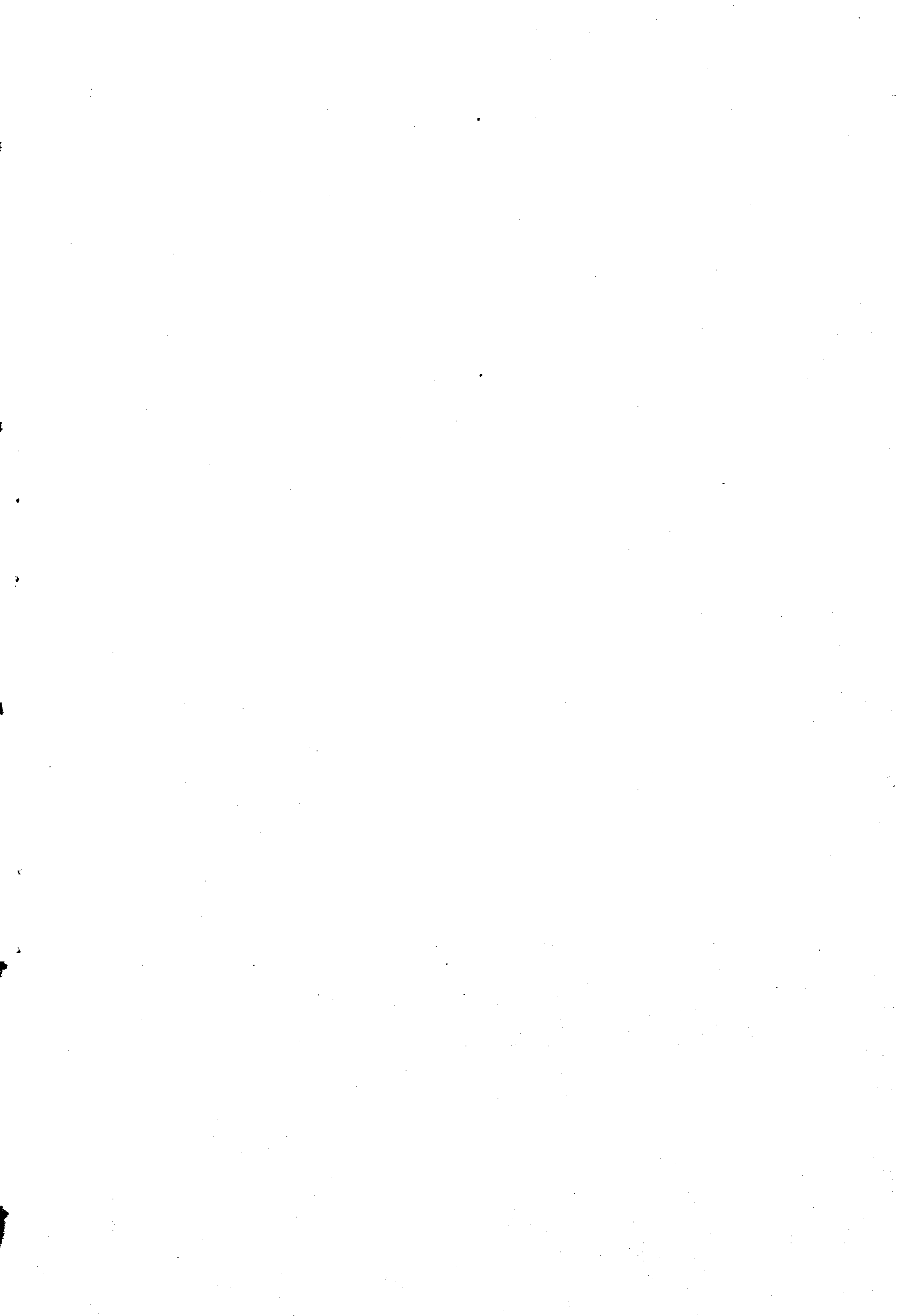
١٠ـــ التقديم للكتاب بمقدمة عن المؤلف وكتابه الذى بين أيدينا « كشف أسرار الباطنية » .

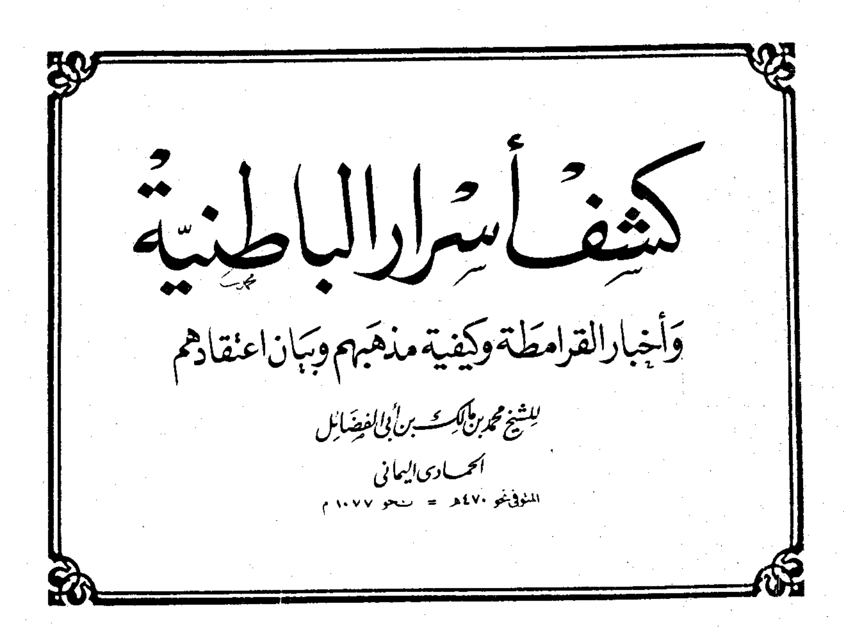
وما توفيقى إلّا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب ...

محمد عثمان الخُشْت

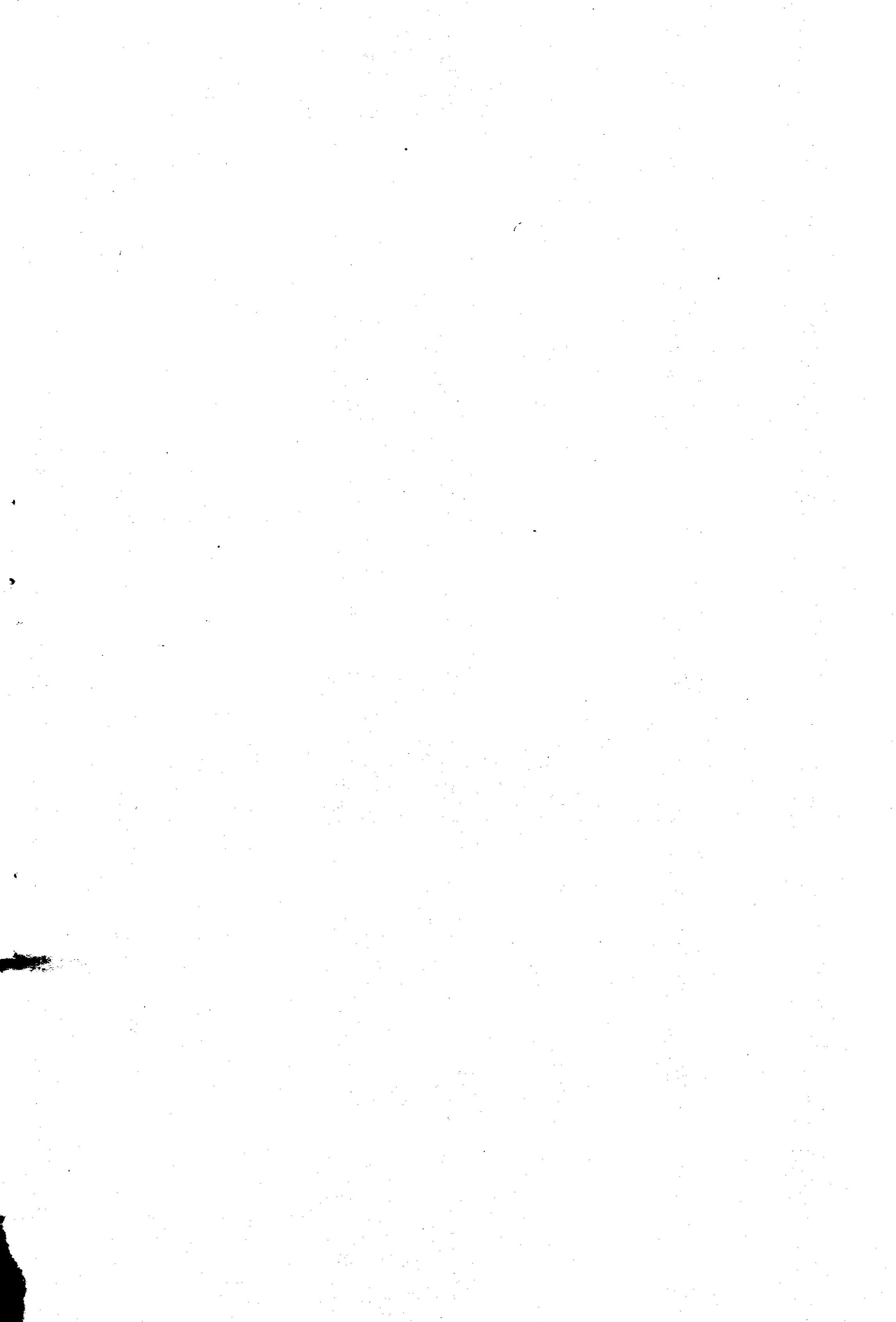
القاهرة فى : ربيع ثان ١٤٠٦هـ
ديسمبر ١٩٨٥م







كشف أسرار الباطنية
وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم
للشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل
الحمادي اليماني
المتوفى نحو ٤٧٠هـ = نحو ١٠٧٧م



النص المحقق لكتاب

« كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم »



بسم الله الرحمن الرحيم

قال محمد بن مالك ـــ رحمة الله عليه ـــ: اعلموا أيها الناس المسلمون ، عصمكم الله بالإسلام ، وجنبنا وإياكم طرق الآثام ، وأصلحكم ، وأرشدكم ، ووفقكم لمرضاته ، وسددكم ـ إني كنت أسمع ما يقال عن هذا الرجل الصليحي[1] كما تسمعون ، وما يتكلم به عليه من سيء الإذاعة ، وقبح الشناعة . فإذا قال القائل :

« هو يفعل ويصنع » .

قلت : أنت تشهد عليه غداً

فيقول : « ما شهدت ولا عاينت ، بل أقول كما يقول الناس » !

فكنت أتعجب من هذا أولًا ، ولا أكاد أصدق ولا أكذب ما قد أجمع عليه الناس ، ونطقت به الألسن .

(١) الذى أسس الدولة الصليحية ، وأحد من ملكوا اليمن وحكموها بالحزم والقوة . اسمه كاملاً : على بن محمد بن على الصليحى أبو الحسن ، ولد سنة ٤٠٣ هـ = ١٠١٢ م فى مدينة « فتر » من أعمال حراز ، وكان أبوه القاضى محمد حاكماً فى جبل مسار (من أعمال حراز باليمن) شافعى المذهب ، ونشأ « علىّ » فى بيت علم وسيادة ، فقيهاً ، توّاقاً للرياسة . قرأ فى صباه بمدينة « عدن لاعة » وكانت أول موضع ظهرت فيه الدعوة العلوية باليمن ، وهى غير « عدن أبين » الساحلية ـ كما فى تاريخ اليمن لعمارة ، وصحب عامر بن عبد الله الرواحى ، أحد دعاة الفاطميين ، فمال إلى مذهبهم ، ويقول المقريزى : إنه صار إماماً فيه ، وجعل يحج دليلًا بالناس ، ويتألف منهم من يتوسم فيه الإقبال عليه . حتى كان له ستون نصيراً من مختلف القبائل ، حالفوه بمكة فى موسم سنة ٤٢٨ هـ على الدعوة للمستنصر العبيدى صاحب مصر . ثم امتنع بهم فى جبل مسار (سنة ٤٢٩ هـ) وتكاثر جمعه ، فلم تكن سنة ٤٥٥ هـ حتى ملك اليمن كله ، وكان مقداماً جباراً شاعراً فصيحاً ، من دهاة الملوك ، وقد قتله سعيد الأحول وهو فى طريقه إلى مكة سنة ٤٧٣ هـ = ١٠٨١ م ، أخذاً بثأر أبيه الذى كان قد قتله فى جملة من قتل من ملوك اليمن . الأعلام ٤ : ٣٢٨ ، وبلوغ المرام ٢٤ وفيه : « الصليحى ، نسبة إلى الأصلوح من بلاد حراز باليمن » ، والذهب المسبوك للمقريزى ٣٥ وفيه وصف الصليحى بأنه « أحد ثوار العالم » .

فتارة أقول : هذا ما لا يفعله أحد من العرب والعجم ، ولا سمع به فيما تقدم في سالف الأمم ، إنما هذه عداوة له من الناس للمآل الذي بلغه من غير أصل ولا أساس .

وكنت كثيراً ما أسمعه يقول : « حكم الله لنا على من يظلمنا ويرمينا بما ليس فينا » .

فرأيت أن أدخل في مذهبه ؛ لأتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه ؛ ولأطلع على سرائره وكتبه ، فلما تصفحت جميع ما فيها ، وعرفت معانيها ، رأيت أن أبرهن على ذلك ؛ ليعلم المسلمون عمدة مقالته ، وأكشف لهم عن كفره وضلالته ؛ نصيحة لله وللمسلمين ، وتحذيراً ممن يحاول بغض هذا الدين .. والله موهن كيد الكافرين .

فأول ما أشهد به ، وأشرحه ، وأبينه للمسلمين ، وأوضحه أن له نواباً يسميهم : « الدعاة المأذونين »[1] ، وآخرين يلقبهم : « المكلبين » ؛ تشبيهاً لهم بكلاب الصيد ؛ لأنهم ينصبون للناس الحبائل ، ويكيدونهم بالغوائل ، وينقبضون عن كل عاقل ؛ ويلبسون[2] على كل جاهل ، بكلمة حق يراد بها الباطل ، يحضونه على شرائع الإسلام من الصلاة والصيام والزكاة ، كالذي ينثر الحب للطير

(١) للدعاة فى المذهب الباطنى الإسماعيلى القرمطى مراتب عشرة ، يسمونها مراتب الحدود المؤثرة فى الأنفس ، ويحتل الداعى المأذون بنوعيه : المأذون المطلق والمأذون المحصور – المرتبتين : التاسعة والعاشرة) ووظيفة المأذون المطلق : أخذ العهد والميثاق وتعريف رسوم الدين وآدابه) أما المأذون المحصور فمهمته : المكاسرة والمجادلة والهداية إلى الدعوة والاعتصام بها) لمزيد من التفاصيل يراجع راحة العقل لحميد الدين الكرمانى الذى يعتبر من أكبر أقطاب الكلام الباطنى الإسماعيلى) ويمكن الرجوع أيضاً إلى كتابنا « حركة الحشاشين : تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية فى العالم الإسلامى » .

(٢) لَبَسَ عليه الأمرَ : خلطه عليه حتى لا يعرف حقيقته) وفى القرآن الكريم : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾

ليقع في شركه .

فيقيم أكثر من سنة يمعنون به ، وينظرون صبره ، ويتصفحون أمره ، ويخدعونه بروايات عن النبى ﷺ محرفة ، وأقوال مزخرفة ، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ، ويحرفون الكلم عن مواضعه .

فإذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والاعجاب بجميع مايعلمِونه ، والانقياد بما يأمرونه ، قالوا حينئذ : اكشف عن السرائر ولا ترض لنفسك ، ولا تقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر ، وتدبر القرآن ورموزه ، واعرف مثَله وممثوله[1] ، واعرف معاني الصلاة والطهارة ، وماروي عن النبي ﷺ ، بالرموز والإشارة دون التصريح في ذلك في العبارة ؛ فإنما جميع ماعليه الناس أمثال مضروبة لممثولات محجوبة ؛ فاعرف الصلاة ومافيها ، وقف على باطنها ومعانيها ، فإن العمل بغير علم ، لا ينتفع به صاحبه [فاسأل وابحث][2] .

فيقول : عم اسأل ؟

---

(١) تتم معرفة المثل والممثول فى القرآن عندهم حسب قانون المماثلة الذى يعتبر الميزان لمعرفة الحق من الباطل عندهم ، على غرار المنطق الذى هو ميزان الفلاسفة ، وغرار النحو ميزان أهل اللغة ، وتتم المماثلة فى عقيدتهم بين معانٍ وآراء جاهزة لديهم تشكل قوام مذهبهم ، وبين المعنى الظاهر الذى تعطيه النصوص القرآنية . ولتوضيح هذه العملية نعطى النموذج التالى من تفسيراتهم للقرآن ، فعند قوله تعالى : ﴿مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لايبغيان ... يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ قالوا إن المقصود بـ « البحرين » : على وفاطمة ، وبـ « البرزخ » : محمد (ص) ، وبـ « اللؤلؤ والمرجان » : الحسن والحسين ، ففى هذا النموذج التفسيرى عملية مماثلة بين مُثل وممثولات ، تتكون المثل من البحرين والبرزخ واللؤلؤ والمرجان والعلاقة التى تقوم بينها ، وتتكون الممثولات من : على وفاطمة ومحمد والحسن والحسين وعلاقة القرابة بينهم .

(٢) مابين القوسين ساقط من الأصل ، وأضفناه لأن السياق يقتضيه .

فيقول : قال الله تعالى : ﴿ **أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**[1] ﴾ ؛ فالزكاة مفروضة في كل عام مرة ، وكذلك الصلاة : من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار ، وأيضاً فالصلاة والزكاة لهما باطن ؛ لأن الصلاة صلاتان ، والزكاة زكاتان ، والصوم صومان ، والحج حجان ، وما خلق الله سبحانه من ظاهر إلّاوله باطن ، يدل على ذلك : ﴿ **وذروا ظاهر الإثم وباطنه** ﴾[2] ، و ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن**[3] ﴾ ، ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن ؟ فالظاهر ماتساوي به الناس ، وعرفه الخاص والعام ، وأما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به ؛ فلا يعرفه إلّا القليل ومن ذلك قوله : ﴿ **وما آمن معه إلّا قليل**[4] ﴾ ، وقوله : ﴿ **وقليل ماهم** ﴾[5] ، وقوله ﴿ **وقليل من عبادي الشكور**[6] ﴾ ؛ فالأقل من الأكثر الذين لاعقول لهم .

والصلاة والزكاة سبعة أحرف ، دليل على محمد وعليّ صلى الله عليهما ؛ لأنهما سبعة أحرف ، فالمعني بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلي ؛ فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة .

فيوهمون على من لايعرف لزوم الشريعة والقرآن ، وسنن النبي ﷺ ، فيقع هذا من ذلك المخدوع بموقع الاتفاق والموافقة ؛ لأنه مذهب الراحة والإباحة ، يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ، ويبيح لهم ماحظر عليهم من محارم الله .

فإذا قبل منهم ذلك المغرور هذا ، قالوا له : قرب قرباناً يكون لك

---

(١) البقرة : ٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠ . ومواضع أخرى من القرآن الكريم .

(٢) الأنعام : ١٢٠ . (٣) الأعراف : ٣٣ .

(٤) هود : ٤٠ . (٥) ص : ٢٤ . (٦) سبأ : ١٣ .

سلما ونجوى[1] ونسأل لك مولانا يحط عنك الصلاة ، ويضع عنك في هذا الإصر[2] . فيدفع اثني عشر ديناراً ، فيقول ذلك الداعي : يامولانا ، إن عبدك فلان قد عرف الصلاة ومعانيها ، فاطرح عنه الصلاة ، وضع عنه هذا الإصر ، وهذه نجواه اثنا عشر ديناراً .

فيقول : اشهدوا أني قد وضعت عنه الصلاة ، ويقرأ له : ﴿ **ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم**[3] ﴾ .

فعند ذلك يقبل إليه أهل هذه الدعوة يهنئونه ، ويقولون : الحمد لله الذي وضع عنك وزرك ، الذي أنقض ظهرك .

ثم يقول له ذلك الداعي الملعون بعد مدة : قد عرفت الصلاة ، وهي أول درجة ، وأنا أرجو أن يبلغك الله إلى أعلى الدرجات ، فاسأل وابحث .

فيقول : عم اسأل ؟

فيقول له : سل عن الخمر والميسر الذي نهي الله تعالى عنهما : أبو بكر ، وعمر ، لمخالفتهما على عليّ وأخذهما الخلافة دونه[4] . فأما مايعمل من العنب والزبيب والحنطة ، وغير ذلك فليس بحرام ؛ لأنه مما أنبتت الأرض . ويتلو عليه :

---

(١) النَّجْوَى : إسرار الحديث . وفي القرآن الكريم : ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ [الأنبياء : ٣] و﴿ فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ﴾ [المجادلة : ١٢] .

(٢) الإصْر : الثِّقْل . وفى القرآن : ﴿ربنا لا تحمل علينا إصْرا كما حملته على الذين من قبلنا﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

(٣) الأعراف : ١٥٧ .

(٤) النظر إلى أبى بكر وعمر باعتبارهما الخمر والميسر الذى نهى عنهما القرآن الكريم ، هو من قبيل عملية المثل والممثول الذى سبق الإشارة إليها ؛ فظاهر النص القرآنى هو النهى عن الخمر والميسر ، وهذا هو المثل ، وباطنه أو ممثوله من وجهة نظرهم : أبو بكر وعمر .

﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ﴾[1] إلي آخر الآية .

ويتلو عليه : ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** ﴾[2] إلي آخر الآية .

والصوم : الكتمان ، فيتلو عليه : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾[3] ، يريد كتمان الأئمة في وقت استتارهم خوفاً من الظالمين . ويتلو عليه : ﴿ **إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً**[4] ﴾ . فلو كان عني بالصيام ترك الطعام لقال : فلن أطعم اليوم شيئاً ، فدل على أن الصيام الصمت[5] .

فحينئذ يزداد ذلك المخدوع طغياناً وكفراً ، وينهمك إلى قول ذلك الداعي الملعون ، لأنه أتاه بما يوافق هواه ، والنفس أمارة بالسوء .

ثم يقول له : ادفع النجوى ، تكون لك سلماً ووسيلة حتي نسأل مولانا يضع عنك الصوم .

فيدفع اثني عشر ديناراً ، فيمضي به إليه ، فيقول : يامولانا ، عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة ، فأبح له الأكل برمضان .

---

(١) الأعراف : ٣٢ .
(٢) المائدة : ٩٣ .
(٣) البقرة : ١٨٥ .
(٤) مريم : ٢٦ .
(٥) الصيام ـ فى الأصل : هو الإمساك عن أىّ فعل أو قول كان ، وفى الشرع : الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية ، ويأتى الصيام فى القرآن بمعان متعددة ، منها هذا المعنى السالف كما فى قوله : ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتمّوا الصيام إلى الليل....﴾ [البقرة : ١٨٧] . كما يأتى الصيام بمعنى الصمت كقوله : ﴿إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ [مريم : ٢٦] ، ومن هنا تظهر مغالطة الداعى أعلاه الذى حاول إحلال معنى للصيام محل معنى آخر .

فيقول له : قد وثقته وأمنته على سرائرنا ؟

فيقول له : نعم .

فيقول : قد وضعت عنه ذلك مدة .

فيأتيه ذلك الداعي الملعون ، فيقول له : قد عرفت ثلاث درجات ، فاعرف الطهارة ماهي ، ومعنى الجنابة ماهي في التأويل .

فيقول : فسر لي في ذلك .

فيقول له : اعلم أن معنى الطهارة طهارة القلب ، وأن المؤمن طاهر بذاته ، والكافر نجس لا يطهره الماء ولا غيره ، وأن الجنابة هي موالاة الأضداد ، أضداد الأنبياء والأئمة[1] ، فأما المني فليس بنجس ، منه خلق الله الأنبياء والأولياء وأهل طاعته ، وكيف يكون نجساً ، وهو مبدأ خلق الإنسان ، وعليه يكون أساس البنيان ، فلو كان التطهير منه ، من أمر الدين ، لكان الغسل من الغائط والبول أوجب ؛ لأنهما نجسان ، وانما معنى ﴿ **وان كنتم جنباً فاطهروا** ﴾[2] ، معناه فإن كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا واعرفوا العلم الذي هو حياة الأرواح ، كالماء الذي هو حياة الأبدان ، قال الله تعالى : ﴿ **وجعلنا من الماء كل شيءحي**[3] ﴾ ، وقوله : ﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق**[4] ﴾ . فلما سماه الله بهذا دلّ على طهارته .

ويوهمون ذلك المخدوع بهذه المقالة ، ثم يأمره ذلك الداعي أن يدفع اثني عشر ديناراً ، ويقول : يامولانا ، عبدك فلان قد عرف معني الطهارة حقيقة ، وهذا قربانه إليك .

فيقول : اشهدوا أني قد حللت له ترك الغسل من الجنابة .

---

(١) أى أعداء الأنبياء والأئمة .

(٢) المائدة : ٦ .

(٣) الأنبياء : ٣٠ .

(٤) الطارق : ٥ ـ ٦ .

ثم يقيم مدة فيقول له هذا الداعي الملعون : قد عرفت أربع درجات ، وبقى عليك الخامسة ، فأكشف عنها ، فإنها منتهى أمرك وغاية سعادتك ، ويتلو عليه : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**[1] ﴾ .

فيقول له : ألهمني إياها ، ودلني عليها .

فيتلو عليه : ﴿ **لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطآءك فبصرك اليوم حديد**[2] ﴾ .

ثم يقول له : أتحب أن تدخل الجنة فى الحياة الدنيا ؟

فيقول : وكيف لي بذلك ؟

فيتلو عليه : ﴿ **وإن لنا للآخرة والأولى** ﴾[3] .

ويتلو عليه : ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة** ﴾[4] .

والزينة هاهنا ما خفي على الناس من أسرار النساء التي لا يطلع عليها إلّا المخصوصون بذلك ، وذلك قوله : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلّا لبعولتهن** ﴾[5] ، والزينة مستورة غير مشهورة .

ثم يتلو عليه : ﴿ **وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون**[6] ﴾ ، فمن لم ينل الجنة في الدنيا ، لم ينلها في الآخرة ؛ لأن الجنة مخصوص بها ذوو

---

(١) السجدة : ١٧ .
(٢) ق : ٢٢ .
(٣) الليل : ١٣ .
(٤) الأعراف : ٣٢ .
(٥) النور : ٣١ . والبعولة جمع بعل : وهو الزوج . يقال : بعل ـ بعلاً وبعولة : تزوج ، ويقال : بعل الرجل ، وبعلت المرأة .
(٦) الواقعة : ٢٢ ، ٢٣

الألباب ، وأهل العقول دون الجهال ؛ لأن المستجن من الأشياء ماخفي ، ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة ، وسميت الجن جناً لاختفائهم عن الناس ، والمجنة المقبرة لأنها تستر من فيها ، والترس المجن لأنه يستتر به ؛ فالجنة ها هنا ما استتر عن هذا الخلق المنكوس ، الذين لا علم لهم ولا عقول .

فحينئذ يزداد هذا المخدوع انهماكاً ، ويقول لذلك الداعي الملعون : تلطف في حالي ، وبلغني إلى ما شوقتني إليه ، فيقول : ادفع النجوى اثنى عشر ديناراً تكون لك قرباناً وسلماً .

فيمضي به فيقول : يا مولانا ، إن عبدك فلان قد صحت سريرته ، وصفت خبرته ، وهو يريد أن تدخله الجنة ، وتبلغه حد الأحكام ، وتزوجه الحور العين .

فيقول له : قد وثقته وأمنته ؟

فيقول : يا مولانا ، قد وثقته وأمنته وخبرته فوجدته على الحق صابراً ولأنعمك شاكراً .

فيقول : علمنا صعب مستصعب ، لا يحمله إلّا نبي مرسل ، أو ملك مقرب ، أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان ، فإذا صح عندك حاله ، فاذهب به إلى زوجتك ، فاجمع بينه وبينها[1] !

فيقول : سمعاً وطاعة لله ولمولانا.

فيمضي به إلى بيته ، فيبيت مع زوجته ، حتى إذا كان الصباح ، قرع عليهما الباب ، وقال : قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس .

فيشكر ذلك المخدوع ، ويدعو له[2] !

---

(١) تسمى هذه العملية بـ « التشريق » . انظر البيان المغرب ١ : ١٨٥ .

(٢) يؤكد كثير من المؤرخين المعادين للقرامطة هذه الإباحية النسائية عندهم ، ولكن يؤكد بعض الباحثين المحدثين على أن مثل هذه الأمور من اختلاق أعدائهم ، وقد حققنا القول فى هذه المسألة فى كتابنا « أسرار القرامطة » .

فيقول له : ليس هذا من فضلي ، هذا من فضل مولانا ، فإذا خرج من عنده ، تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة ، فلا يبقى منهم أحد إلّا بات مع زوجته ، كما فعل ذلك الداعي الملعون .

ثم يقول له : لابد لك أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا ، فادفع قربانك .

فيدفع اثني عشر ديناراً ، ويصل به ، ويقول : يا مولانا ، إن عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم ، وهذا قربانه .

حتى إذا جن الليل[1] ، ودارت الكؤوس ، وحميت الرؤوس ، وطابت النفوس ، أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم ، فيدخلن عليهم من كل باب ، وأطفأوا السرج[2] والشموع ، وأخذ كل واحد منهم ماوقع عليه في يده ، ثم يأمر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون ، وجميع المستجيبين .

فيشكره ذلك المخدوع على مافعل له ، فيقول : ليس هذا من فضلي ، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكروه ولا تكفروه ، على ماأطلق من وثاقكم ، ووضع عنكم أوزاركم ، وحط عنكم آصاركم ، ووضع عنكم أثقالكم ، وأحل لكم بعض الذي حرم عليكم جهالكم : ﴿**وما يُلقَّاها إلّا الذين صبروا وما يُلقَّاها إلّا ذو حظ عظيم**[3] ﴾ .

قال محمد بن مالك رحمه الله تعالى : هذا مااطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم ، والله تعالى لهم بالمرصاد ، والله تعالى عليّ شهيد

(١) جنّ الليل : أظلم ، ويقال : جنَّ الظلام : اشتدّ ؛ وجنَّ الشيء ، وعليه : ستره . وفى القرآن الكريم : ﴿فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً﴾ [الأنعام : ٧٦] .

(٢) السُرُجُ : جمع سِّراج وهو المصباح الزاهر .

(٣) فصلت : ٣٥ .

بجميع ماذكرته ، مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم ، والله يشهد عليّ بجميع ماذكرته ، عالم به .

ومن تكلم عليهم بباطل ، فعليه لعنة الله ، ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين ، وأخزى الله من كذب عليهم بباطل ، له جهنم وساءت مصيراً .

ومن حكي عنهم بغير ماهم عليه ، فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته .

فأديت هذه النصيحة إلى المسلمين حسب ماأوجبه الله عليّ من حفظ هذه الشهادة ، فإن الله سبحانه أمر بحفظ الشهادة ومراعاتها وأدائها إلى من لم يسمعها ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ستكتب شهادتهم ويسئلون**[1] ﴾ ، والله أسأله أن يتوفانا مسلمين ، ولا ينزع عنا الإسلام بعد إذ آتانا الله بمنه ورحمته .

● المقالة في أصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها :

وقد رأيت أيها الناس ــ وفقنا الله وإياكم للصواب ، وجنبنا وإياكم طرق الكفر والارتياب ــ أن أذكر أحبال هذه الدعوة الملعونة ؛ لئلا يميل إلى مذهبهم مائل ، ولا يصبو إلى مقالتهم لبيب عاقل ، ويكون في هذا القدر من الكلام في هذا الكتاب إنذاراً لمن نظره ، وإعذاراً لمن وقف عليه واعتبره .

باب : اعلموا ياأخواني في الإسلام : أن لكل شيء من أسباب الخير والشر والنفع والضر والداء والدواء أصولًا ، وللأصول فروعاً .

وأصل هذه الدعوة الملعونة التى استهوى بها الشيطان أهل الكفر

---

(١) الزخرف : ١٩ .

والشقوة[1] ظهور « **عبد الله بن ميمون القداح**[2] » في الكوفة ، وما كان له من الأخبار المعروفة ، والمنكرات المشهورة الموصوفة ، ودخوله في طريق الفلسفة ، واستعماله الكتب المزخرفة ، وتمشيته إياها على الطغام ، ومكيدته لأهل الإسلام .

وكان ظهوره فى سنة ست وسبعين ومائتين ، من التاريخ للهجرة النبوية ، فنصب للمسلمين الحبائل ، وبغى لهم في الغوائل ، ولبس الحق بالباطل ، ﴿ **ومكر أولئك هو يبور** ﴾[3] ، وجعل لكل آية من كتاب الله تفسيراً ، ولكل حديث عن رسول الله ﷺ تأويلًا ، وزخرف الأقوال ، وضرب الأمثال ، وجعل لآي القرآن شكلًا يوازيه ، ومثلًا يضاهيه .

وكان الملعون عارفاً بالنجوم ، معطلًا لجميع العلوم : ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾[4] .

فجعل أصل دعوته التي دعاها ، وأساس بنيته التي بناها : الدعاء إلى الله وإلى رسوله ، ويحتج بكتاب الله ومعرفة مثله وممثوله ،

(١) الشِّقْوَةُ : الشقاء ، وفى القرآن : ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾[المؤمنون : ١٠٦] .

(٢) حسب المصادر التاريخية العديدة التى بين يدى يبدو أن المؤلف هنا يخلط بين ميمون القداح وابنه عبد الله ، فتارة يذكر عبد الله على أنه أصل هذه الدعوة ، وتارة يذكر أباه ميمون ، وعلى كل الأحوال فالصواب أن مؤسس الدعوة المذكورة هو ميمون القدّاح الذى كان شخصية علمية بارزة وذا ثقافة واسعة ، وقد عمل عند جعفر الصادق وكان منحازاً لابنه إسماعيل الذى عهد إليه أبو جعفر بالإمامة فى أول الأمر ، وعندما مات إسماعيل فى حياة أبيه جعفر ساق ميمون وشيعته الإمامة إلى محمد بن إسماعيل ، فى حين ساقها مجموعة أخرى بقيادة هشام بن الحكم المتوفى ١٩٥ هـ إلى الابن الآخر لجعفر . موسى الكاظم ، الذى عهد إليه أبوه بالإمامة بعدما مات إسماعيل ، هذا وفق ما جاء فى مصادر الشيعة ، لكن يقول أعداؤهم إن إسماعيل لم يخلف ولداً ، وأن ميمون القداح نسب ابنه عبد الله إلى إسماعيل وسماه محمد ... وهناك اختلافات شديدة التباين بين المؤرخين حول هذه المسألة يضيق الهامش عن ذكرها هنا .

(٣) فاطر : ١٠ . (٤) الصف : ٨ .

والاختصاص لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالتقديم والامامة ، والطعن على جميع الصحابة بالسب والأذى ، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« **لعن الله من سب أصحابى** »[١] ، وقال عليه الصلاة والسلام « **أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم** »[٢] .

وقال ﷺ : « **من سب أصحابى ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** »[٣] .

فأفسد بتمويهه قلوب الجهال ، وزين لهم الكفر والضلال ، وله شرح يطول فيه الخطاب ، غير أني أختصر ، وفيما أشرحه كفاية واعتبار لأولي الألباب والأبصار .

وكان هذا الملعون يعتقد اليهودية ، ويظهر الإسلام ، وهو من اليهود من ولد الشلعلع[٤] من مدينة بالشام يقال لها سلمية[٥] .

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر ، وعن ابن عباس ؛ والبغوى وأبو نعيم فى الحلية عن عطاء مرسلًا ، والخطيب فى تاريخ بغداد عن أنس . انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٤٩٨٧ ، والأحاديث الصحيحة ٢٣٤٠ . (٢) حديث ضعيف .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس . انظر صحيح الجامع الصغير ، برقم ٦١٦١ ، والأحاديث الصحيحة ٢٣٤٠ .

(٤) فى نسب ميمون القدّاح اختلافات كبيرة واضطراب ، نتيجة للافتراءات وعدم الموضوعية التى يتميز بها كثير من المؤرخين ، فبينما يذكر ابن مالك أعلاه أن أصله يهودى ، فهناك من المؤرخين من يذكر أن أباه اسمه « ديصان » وأنه ينتمى إلى طائفة « الديصانية » النصرانية ، وهى التى قام بتأسيسها الحبر بارديصان فى مدينة الرّها فى القرن الثانى من الميلاد ، وهناك من مؤرخى الإسماعيلية من ينسبه إلى سلمان الفارسى ، ويذكر القاضى أبو بكر الباقلانى أن القداح كان مجوسياً ، وهو نفس مايذكره البغدادى فى الفرق بين الفرق بتحقيقنا فيقول إنه كان مجوسياً من سبى الأهواز ، وكما يرى القارىء فإن المسألة محض تعصب ، فإذا كان المؤرخ شيعياً فإنه يعمل على إثبات نسب نقى لميمون ، وإذا كان سنياً يعمل على تشويه أصله ، ونظراً لتباين الأدلة وغياب البراهين الحاسمة فإن كل الاحتمالات ممكنة .

(٥) سلمية بلدة من بلاد سورية ، وهى قريبة من حمص ، وقريبة أيضاً من حماة التى =

وكان من أحبار اليهود ، وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب .

وكان صائغاً[١] يخدم اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

وكان حريصاً على هدم الشريعة المحمدية لما ركب الله في اليهود من عداوة للإسلام وأهله ، والبغضاء لرسول الله ﷺ ، فلم ير وجهاً يدخل به على الناس ، حتى يردهم عن الإسلام ، ألطف من دعوته إلى أهل بيت رسول الله ﷺ .

وكان قد خرج في أيام قرمط[٢] البقار ، وكان اسمه أو لقبه ؛ لأنه كان يقرمط في سيره إذا مشى[٣] ، ولذلك نسب أهل مذهبه ومذهب ابن ميمون إلى قرمط ؛ لأنهما اجتمعا[٤] وعملا ناموسا يدعوان إليه ،

=تقع على بعد ٣٤ كيلو متراً تقريباً منها ، وبهذه المدينة ألف كتابيه « الميزان » و « الهداية » وتوفى بها .

(١) يذكر فريق آخر من المؤرخين أنه كان طبيباً للعيون ، بينما يرى فريق ثالث أن مهنته كانت برى « القِداح » وهى السهام .

(٢) مؤسس حركة القرامطة ، وإليه نسبتها ، اختلف فى اسمه وأصله . قيل : اسمه « حمدان » أو « الفرج بن عثمان » أو « الفرج بن يحيى » ، وقرمط لقبه ، والنسابون يضبطونه بكسر القاف والميم ، بينهما راء ساكنة ، واللغويون يفتحون القاف والميم ، وعن هؤلاء أخذ الفرنج فسموه (Karmath) ، وأصله من خوزستان ، وعرف فى سواد الكوفة (سنة ٢٥٨ هـ) وأظهر بها دعوته ، وقد تداخلت أخباره فى كتب التاريخ بأخبار دعاته ، والأرجح أنه هو الذى قبض عليه عامل « الرحبة » سنة ٢٩٣ هـ = ٩٠٦م وقتله المكتفى بالله العباسى .

(٣) قَرْمَطَ فى خطوه : قارب ما بين قدميه وهو يمشى .

(٤) يجب تخريج لفظ « اجتمعا » هنا على أن معناه أن « مذهبيهما اتفقا فى الدعوة والأهداف والتعاليم » ، لا أن عبد الله بن ميمون اجتمع مع قرمط ، إذ أن عبد الله بن ميمون مات سنة ١٨٠ هـ على الأرجح ، ومات قرمط سنة ٢٩٣ هـ ؛ ولذا فليس من المعقول أن يكون أحدهما اجتمع بالآخر ولقيه .

وكانا يعرفان النجوم ، وأحكام الأزمان ، فدلهما الوقت على تأسيس ماعملاه .

فخرج ميمون إلى الكوفة ، وأقام بها مدة ، وله أخبار يطول شرحها ، مما كان منه ومن علي بن فضل ، والمنصور[1] صاحب مسور[2] ، وأبي سعيد الجنابي[3] . وأنا أشرح ذلك عند انتهائي إليه إن شاء الله تعالى .

وأما قرمط البقار ، فإنه خرج إلى بغداد ، فقتل هناك لا رحمه الله .

باب ذكر ماكان من القداح وعقبه لعنه الله ومن تعلق بسببه ودخل في ضلالته ومذهبه

وكان أول أولاده عبيد[4] وهو المهدي ، ثم محمد وهو القائم[5] ، ثم اسماعيل المنصور[6] ، ثم المعز[7] ، ثم العزيز[8] ، ثم الحاكم[9] ، ثم الظاهر[10] ، ثم معد المستنصر[11] .

هؤلاء الذين ينسبون إليه إلى عصرنا هذا ، فانتسبوا إلى ولد الحسين ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وانتحالهم إليه انتحال كاذب ، وليس لهم في ذلك برهان ، وأهل الشرف ينكرون ذلك[12] ؛ فإنهم لم

(١) ، (٢) ، (٣) ستأتى لهم ترجمة .

(٤) هذا خطأ واضح من المؤلف ؛ إذ لم يكن عبيد المهدى ابنا مباشراً لميمون ـ على فرض أن نسبه يرجع إليه ؛ فعبيد هذا كان مولده على التحقيق سنة (٢٥٩ هـ = ٨٧٣ م) ، إذن فلم يكن بأية حال من الأحوال ذا علاقة مباشرة بميمون لتباعد الوقت بين موت الأخير وميلاد الأول .

(٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) ، (٩) ، (١٠) ، (١١) خلفاء الدولة الفاطمية حتى عصر المؤلف ، ووقوفه عند المستنصر دليل مباشر على أن هذا المصنف أنجز فى عهد المستنصر .

(١٢) ألمحنا من قبل إلى الاختلاف والاضطراب البالغين حول نسب خلفاء دولة الفاطميين ، فينقسم المؤرخون إلى معسكرين فى هذه المسألة (أى صحة تسلسل=

يجدوا لهم في الشرف أصلاً مذكوراً ، ولا عرفوا لهم في كتاب الشجرة نسباً مشهوراً ، بل الكل يقصيهم عن الشرف ، وينفيهم عن النسب[1] ، إلا من دخل معهم في كفرهم وضلالتهم فإنه يشهد لهم الزور ، ويساعدهم في جميع الأمور .

وقد زعموا أنهم من ولد محمد اسماعيل بن جعفر الصادق ، وحاشى لله ما كان لمحمد اسماعيل من ولد ولا عرف ذلك من الناس أحد ، بل هم : ﴿ **كشجرة خبيثة أجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار** ﴾[2] .

الدليل على ذلك وعلى بطلان ما ذكروه أنهم يقولون معداً المستنصر ابن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وهو عبيد بن ميمون ، ثم يقولون ابن الأئمة المستورين من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق ، فإذا سألهم سائل عن هؤلاء المستورين[3] ، حادوا عن الجواب ، وكان للسائل لهم الارتياب ،

= الفاطميين من فاطمة الزهراء) ، ويوجد عدد لا يقل عن ثماني سلاسل نسب مختلفة يلحقه بها أنصاره وخصومه ، ويشتهر من بين أنصار صحة نسبهم المؤرخون : ابن الأثير ، وابن خلدون ، والمقريزى ، ومن بين الذين يتشككون فى صحة نسبهم أو ينكرونها : ابن خلكان ، وابن عذارى ، والسيوطى ، وابن تغرى بردى .

(١) أظن أن القارىء بعدما قرأ الهامش السابق يتبين له عدم دقة المؤلف فى قوله : « .. بل الكل يقصيهم عن الشرف وينفيهم عن النسب ، إلّا من دخل معهم فى كفرهم وضلالتهم فإنه يشهد لهم الزور ... » ، فمن المعلوم أن ابن الأثير وابن خلدون والمقريزى قد أيدوا صحة نسب الفاطميين إلى فاطمة الزهراء ، ولم يكن هؤلاء المؤرخون الثلاثة من الشيعة ، بل كانوا من مؤرخى السنة ، إذن فحكاية الإجماع التى حكاها المؤلف عندما قال : « .. بل الكل يقصيهم ... » خطأ ، كما أن قوله بأنه لم يؤيد صحة نسبهم إلا « من دخل معهم فى كفرهم وضلالتهم » خطأ كذلك .

(٢) إبراهيم : ٢٦ .

(٣) الأئمة المستورون ـ حسبما تشير المصادر الشيعية ـ هم : محمد بن إسماعيل ، ثم =

وقالوا : هم أئمة قهروا فتستروا ، ولم يؤمروا باظهارهم ولا ذكرهم لأحد .

وهذا من أعظم الشواهد على بطلان ماذكروه وانتسبوا إليه .

والدليل على أنهم من ولد اليهود : استعمالهم اليهود في الوزارة والرئاسة ، وتفويضهم اليهم تدبير السياسة ، مازالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم ، وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد .

باب خروج ميمون القداح من سلمية إلى الكوفة

وقد ولد له عبيد ، وهو الذي يسمونه عبيد الله المهدى[1] ، فأقاما بالكوفة مدة طويلة حتى تهيأ لهم ما كانا يطلبان ، وإلى أن أجابهما إلى ذلك تسعة رهط[2] ، يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، منهم : علي ابن فضل الجدني اليماني[3] ، وأبو القاسم بن زاذان الكوفي المسمى المنصور عند كونه في اليمن في مسور[4] ، وأبو سعيد الجنابي[5] صاحب الأحساء والبحرين ، وأبو عبد الله الشيعي[6] صاحب كتامة[7] في

=ابنه عبد الله الملقب بالوفى ، ثم أحمد بن عبد الله الملقب بالتقى ، ثم الحسين بن أحمد الملقب بالرضى ، وتجدر الإشارة إلى أن الستر عند الإسماعيلية غير الغيبة عند الاثنى عشرية ؛ فالإمام الغائب هو الإمام الثانى عشر عند الشيعة الاثنى عشرية ، والائمة المستورون عند الإسماعيلية هم السابق ذكرهم .

(١) سبق الإشارة إلى أن عبيد الله المهدى لم يكن ليدرك ميمون القداح ، لاتساع المسافة الزمنية بين موت الأخير نحو سنة ١٧٠ هـ ، وميلاد الأول سنة ٢٥٩ هـ . وعبيد الله المهدى، هذا هو مؤسس دولة العلويين فى المغرب ، وجدّ العبيدين الفاطميين خلفاء الدولة الفاطمية بمصر .

أما ابن ميمون فاسمه « عبد الله » ويعرف بابن القدّاح ، وفاته نحو ١٨٠ هـ ، وهو من رجال الحديث ، وثقه الشيعة ، ووهنه ـ بطبيعة الحال ـ أهل السنة . له مؤلفات ، منها « مبعث النبى وأخباره » و« صفة الجنة والنار » و« إفادة البصير » وهذا الكتاب الأخير مازال موجوداً ، وهو مخطوط ، فى مكتبة شستربتى برقم (٥١٤٤) .

(٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) ستأتى تراجمهم .

(٧) كُتامة : بضم الكاف قبيلة مشهورة فى المغرب .

الغرب ، والحسن بن مهران المسمى بالمقنع[1] الخارج فيما وراء النهر من خراسان ، ومحمد بن زكريا[2] الخارج في الكوفة ، ولابد أن أذكر أصح خبر كل واحد منهم مختصر إن شاء الله تعالى .

باب ذكر أبي سعيد الجنَّابي لعنه الله

كان فيلسوفاً ملعوناً ملك البحرين واليمامة والأحساء وادعي فيها أنه المهدي القائم بدين الله فاستفتح ...[3] ودخل مكة ، وقتل الناس في المسجد الحرام ، ومنع الناس من الحج ، واقتلع الركن ، وراح به إلى الأحساء ، وقال في ذلك شعراً :

ولو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا صبا

لأنا حججنا حجة جاهلية مجللة لم نبق شرقاً ولاغرباً

---

(١) ، (٢) ستأتى لهما ترجمة .

(٣) سقط من الأصل بقية أخبار أبى سعيد الجنابى وأول أخبار ابنه أبى طاهر سليمان ، وعلى كلٍ فمجمل سيرة أبى سعيد ومطلع سيرة ابنه سليمان كالآتى : اسمه الحسن بن بهرام ، وكان دقاقاً ، من أهل جنابة (بفارس) ونفى منها ، فأقام فى البحرين تاجراً ، وجعل يدعو العرب إلى نحلته ، فعظم أمره ، فحاربه الخليفة ، فظفر الحسن ، وصافاه المقتدر العباسى ، وكان أصحابه يسمونه « السيد » ، استولى على هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين ، وكان شجاعاً ، داهية ، قتله خادم له صقلبى فى الحمام بهجر سنة ٣٠١ هـ = ٩١٤ م ، وكان قد عهد بالأمر إلى كبير أبنائه « سعيد » فعجز هذا عن الأمر ، فغلبه أخوه الأصغر سليمان أبو طاهر ، وجاءه كتاب من المقتدر العباسى ، فيه رقة ورغبة بإطلاق من عنده من أسرى المسلمين ، فأطلق الأسرى وأكرم حاملى الكتاب ، وأعادهم بالجواب ، ولكنه وثب سنة ٣١١ هـ على البصرة ، فنهبها وسبى نساءها ، وكتب إلى المقتدر يطلب ضمها إليه هى والأهواز ، فلم يجبه المقتدر ، فأغار على الكوفة سنة ٣١٢ هـ ، فأقام ستة أيام حمل فيها ما استطاع رجاله أن يحملوه من أموال وثياب وغيرها ، وضج الناس خوفاً من شره ؛ فاهتم الخليفة لأمره ، فسير لقتاله جيشاً كبيراً ، فشتته القرمطي واستولى على الرحبة وربض الرقة ودعا إلى « المهدى » ، ثم أغار على مكة ، وكان من شأنه ما ذكره المؤلف أعلاه .

وانا تركنا بين زمزم والصـفا جنائز لاتبغي سوى ربها ربا[1]

وله ــ لعنه الله ــ أشعار بالقدر فى ذلك ، تركتها اختصاراً ، وكان دخوله مكة سنة سبع عشرة وثلثمائة ، وقتل فيها ثلاثة عشر ألفا عليه[2] لعنه الله .

باب ذكر الحسن بن مهران المعروف بالمقنع

خرج فيما وراء النهر ، وله أخبار شنيعة ، وكان حكيماً فيلسوفاً ملعوناً ، ذكروا أنه عمل قمراً بالطلسم يطلع في السنة أربعين ليلة ، ولقد كنت أكذب ذلك حتى صححه لي جماعة من أهل خراسان ، وذكروا أنه بنى حصناً وعمل فيه لوالباً ، فكان المسلمون إذا أتوا لقتاله قذفوا بالحجارة ولا يدرون من أين يقذفون ، فمال إليه خلق كثير ، حتى بعث الله عليهم غلاماً حكيماً ، فأمر المسلمين أنْ يحفروا حول الحصن ، فوقعوا على اللوالب ، فاخرجوها ، ودخلوا عليه فقتلوه . وقيل إنه أحرق نفسه قبل دخولهم عليه ؛ فأمكن الله سبحانه وتعالى منه .

باب ذكر محمـد بن زكريا لعنه الله

أحسب أن اسمه زكرويه بن مهرويه القرمطي ، وكان قد خرج بالكوفه ، فخرج إليه المكتفي أمير المؤمنين من بني العباس ، فقتله لعنه

---

(١) وكان يصيح أيضاً على الكعبة قائلًا :

« أنا بالله ، وبالله أنا ! يخلق الخلق ، وأفنيهم أنا »

(٢) يذكر بعض المؤرخين أنه قد بلغ قتلاه فى مكة ثلاثين ألفاً . وردم زمزم بالقتلى . ويجمع المؤرخون على أنه اقتلع الحجر الأسود وأرسله إلى هجر سنة ٣١٧ ، ولم يعد الحجر إلى الكعبة إلّا سنة ٣٣٩ هـ ، وقد مات سليمان كهلًا بالجدرى فى هجر سنة ٣٣٢ هـ = ٩٤٤ م .

الله ولا رحمه[1] .

باب ذكر علي بن فضل الجدني لعنه الله

من ذرية ذي جدن والأجدون من سبأ صهيب[2] ، وأصله من جيشان . وكان في أوله ينتحل الاثني عشرية ، فخرج للحج ، ثم زار قبر النبي ﷺ ، ثم مضى إلى الكوفة لزيارة قبر الحسين بن علي رضي الله عنه ، فلما وصل الكوفة وزار قبر الحسين رضي الله تعالى عنه بكى على القبر بكاء شديداً وجعل ينوح ويقول : بأبي أنت يا بن الزهراء المضرج بالدماء الممنوع من شرب الماء .

وكان ميمون القداح على القبر وولده عبيد ؟؟ فلما بصرا به سرهما ، وطمعا به ، وعلما أنه ممن يميل إليهما ، ويدخل في ناموسهما ، فقال ميمون : أيها الشاب ، ماكنت تفعل لو رأيت صاحب هذا القبر ؟

قال : إذاً والله أضع له خدي ، وأجاهد بين يديه حتى أموت شهيداً .

فقال له ميمون : أتظن أن الله قطع هذا الأمر ؟

قال له علي بن فضل : لا ولكني لا أعلم ذلك ، فهل عندك منه خبر أيها الشيخ ؟

---

(١) وكان المكتفى قد انتدب الجيوش لقتاله ، فأصيب فى معركة بين القادسية وخفّان ، فمات بعد أيام ، وحملت جثته إلى بغداد فأحرقت ، وأرسل رأسه إلى خراسان لئلا ينقطع أهلها عن الحجّ ؛ فقد كان سبق له الهجوم على نحو عشرين ألفاً من حجاج خراسان فأفنى أكثرهم ، وكان مقتله سنة ٢٩٢هـ = ٩٠٦م.

(٢) وهو فى كتاب العسجد المسبوك : « خنفرى النسب ، من ولد خنفر بن سبأ بن صيفى » .

فقال : أخبرك به إن شاء الله ، عند الإمكان .

ثم قام ميمون فتعلق به ، فقال ميمون : تقف بهذا المسجد إلى غد .

فوقف أياماً فلم يرد له خبراً ، فودع أصحابه ، وقال لهم : أما أنا فلا أبرح هاهنا حتى أتنجز وعداً قد وعدته ، فأخذ له من المؤونة مايكفيه فوق أربعين يوماً ، وميمون وولده يرمقانه من حيث لا يعلم بهما ، فلما رأى ميمون صبره أعجبه ، وعلم أنه لا يخالفه في شيء من دعوته والميل إلى كفره وضلالته .

فأتاه عبيد فوثب إليه فاعتنقه ، وقال : سبحان الله ياسيدى وعدني الشيخ وعداً فأخلفني .

فقال : لم يخلفك ، وإنما قال أنا آتيك غداً إن شاء الله ، وله في هذا مخرج على ضميره .

ثم جلسا وجرى بينهما الكلام ، وقال له : ياأخي اعلم ، أن ذلك الشيخ أبي ، وقد سره مارأى من صبرك وعلو همتك ، وهو يبلغك محبوبك إن شاء الله .

ثم أخذ بيده ، فأوصله إلى الشيخ ، فلما رآه قال : الحمد لله الذي رزقني رجلًا نحريراً[1] مثلك أستعين به على أمري ، وأكشف له مكنون سري .

ثم كشف له أمر مذهبه ــ لعنهما الله ــ فأصغى إليه ــ واشرأب[2] قلبه ، وتلقى كلامه بالقبول .

وقال له علي : والله إن الفرصة ممكنة باليمن ، وإن الذي تدعو إليه

(١) النحرير : العالم الحاذق فى علمه ، والجمع : نحارير .

(٢) اشرأب : مال إليه .

جائز هنالك ، وناموسنا يمشي عليهم ؛ وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الأحلام ، وتشتيت الرأي ، وقلة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية .

فقال له ميمون : أنا موجهك والمنصور الحسن بن زاذان[1] .

وكان[2] ينسب إلى ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب[3] ، وكان أبوه ممن ينتحل مذهب الشيعة الاثني عشرية ، وكان من أهل الضلال ، وكان من أهل الكوفة ، فلما دخل ميمون الكوفة ظفر بالحسن بن زاذان وعلم أنه مسعود ، وأنه ينال ملكاً وشرفاً ؛ وذلك من طريق معرفته بالنجوم والفلسفة[4] ، فجعل ميمون يلطف به ويرفق ، فيكشف له مذاهب الفلاسفة ومقالهم ، فلم يزل به حتى قبل منه ، وركن إلى قوله ، ومازال به حتى مال إلى معتقده ، وصار من دعاته ، الذين يدعون إليه ، وإلى ولده .

فعند ذلك قال ميمون : ياأبا القاسم ، إن الدين يماني ، والحكمة يمانية ، وكل أمر يكون مبدؤه من قبل اليمن ، فإنه يكون ثابتاً لثبوت ذلك النجم ؛ وذلك أن إقليم اليمن أعلى الأقاليم الدنيا ، ولابد من خروجك إلى هنالك أنت وأخوك علي بن فضل اليماني ، فسيكون لكما شأن وملك وسلطان في اليمن ، فكونا على أهبة .

---

(١) سيأتى ذكره .

(٢) أى الحسن بن زاذان .

(٣) مسلم بن عقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب : (... ـ ٦٠ هـ = ... ـ ٦٨٠ م) تابعى ، من ذوى العلم والرأى والشجاعة . قتله عبيد الله بن زياد (أمير الكوفة من قبل الأمويين) . راجع الكامل لابن الأثير ٤ : ٨ ـ ١٥ ، والأخبار الطوال ٢٣٣ .

(٤) هذا كلام غير دقيق ؛ فالمعرفة بالنجوم أو بالفلسفة لاتؤدى مطلقاً إلى معرفة الغيب ، فالغيب أمر مستقبلى لايمكن لأحد من البشر معرفته ، وكل مايقال عن وجود أناس يعلمون الغيب هراء ودجل من مخلفات عصور الجهل والتخلف .

فقال له : الأمر إليك يا سيدى .

قال المنصور : فكنت أنا وعلي بن فضل وعبيد لانزال نكثر المذاكرة في مجلس الشيخ ، وكان يقول : عند تمام الوقت ومضي ستة أدوار من الهجرة المحمدية أبعثكما إلى اليمن تدعوان إلى ولدي هذا ، فسيكون له ولذريته عز وسلطان ، وأخذ عليَّ[1] وعلى عليّ بن فضل العهود والمواثيق لولده .

فلما كان أوان خروجنا قال لنا ميمون : هذا هو الوقت الذي كنا ننتظر ، فاخرجنا في هذا الموسم ، ثم وجهنا إلى اليمن نتظاهر بالحج ، وعهد إلينا .

ثم خلا بي وأوصاني بالاستتار حتى أبلغ مرادي ، وقال لى : الله الله بصاحبك ، فاحفظه وأكرمه بجهدك ، ومره بحسن السيرة في أمره ، فإنه شاب لا آمن نبوته[2] .

وخلا بعلي بن فضل ، وقال : الله الله بصاحبك ، وقره ، واعرف له حقه ، ولا تخالفه فيما يراه لك ؛ إنه أعرف منك وإنك إن خالفته لم ترشد .

قال المنصور : فلما صرت في بعض الطريق ، لحقني كمد عظيم لحال الغربة ، وإذا بحاد يحدو ويقول :

يا أيها الحادى المليح الزجر بشِّر مطاياك بضوء الفجر
تدرك ما أملته من أمر

قال : فلما سمعت ذلك سررت به ، واستبشرت .

---

(١) الكلام مازال للمنصور .

(٢) أى لا آمن إعراضه وجفوته ونفرته

فوصلت مكة مع الحاج ؛ وذلك في أيام محمد بن يعفر الحوالي[1] ، ثم أقبلنا نسأل عن أخبار اليمن ، فقيل لنا : إن الأمير محمد بن يعفر رد المظالم ، واعتزل عن الناس ، ورجع إلي التنسك والعبادة .

فقلنا : ولم فعل ذلك ؟

فقيل لنا : إنه قيل له إن في هذه السنة يخرج عليه خارجي ، فيكون زوال أمره على يديه .

ويقال إنه رد في يوم واحد ألف دينار ، وقام في بني حوال رجل يقال له إبراهيم فقال :

يا ذا حوال يا مصابيح الأفق ... تداركوا عزكم لا ينفتق
فتطلبون رتق ما لا يرتتق ... فأيكم قام بها فقد سبق

فقام ولد محمد بن يعفر .

قال محمد بن مالك الحمادي رحمه الله :

فلما خرج علي بن فضل مع الحاج هو والمنصور وصارا في غلافقة[2] افترقا ، وقال كل واحد منهما لصاحبه : أعلمني بأمرك وما يكون منك .

فوصل المنصور إلى الجند[3] ، وصاحب الأمر يومئذ جعفر بن

(١) محمد بن يُعْفِر بن عبد الرحيم الحوالى (من بنى ذى حوال) الحميرى : (٠٠٠ - ٢٦٩هـ = ٠٠٠ - ٨٨٢م) أمير صنعاء ، من رجالات الأسرة « الحوالية » فى اليمن ، وهى تعد من بقايا « التبابعة » ودار مملكتهم شبام . لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى بلوغ المرام للعرشى ص ١٨ .

(٢) غلافقة : بلدة بساحل اليمن ، كانت قديماً من أشهر الموانى ، وهى موجودة إلى اليوم ولكن بتعديل طفيف فى اسمها ، فتسمى « غليفقة » .

(٣) الجند : بلدة فى اليمن ، موقعها جنوب صنعاء ، وكانت المسافة تقدر بينهما قديماً بستة أيام .

إبراهيم المناخي ، وخرج علي بن فضل إلى ناحية جيشان .

فأما المنصور فإن ميموناً كان قال له : لا يظهر أمرك إلّا من موضع يقال له : « عدن لاعة »[1] ؛ فإنه أقوى لأمرك وأمضى لناموسك .

وإنما دله على ذلك الفلاسفة ، وعرف ما سطره فى كتبهم من تسمية الأقاليم والبلدان وتقويم الكواكب السبعة .

فلما صار المنصور إلى الجند سأل عن « عدن لاعة » ، فقالوا : لا نعرف إلّا « عدن أبين »[2] . فدخل « عدن أبين » بتجارة تصلح لعدن ، كما يفعل التجار ، فأقام أياماً فيها يسأل عن « عدن لاعة » مدة مقامه هنالك ، فبصر به شيخ من تجار عدن ، فأنكره فسأله عن حاله ، فقال : أنا رجل من أهل العراق ، وكنت حاجاً في هذه السنة .

قال : فهل عندك خبر ؟

قال : لست صاحب أخبار ، وعما تريد أن أخبرك عنه ؟

قال له العدني : هل حدث في الشام حدث ؟

قال : لا علم لي بشيء .

فلم يزل به حتى أعلمه ما في ضميره ، فعاهده المنصور على كتمان سره ، وسأله عن « عدن لاعة » ، فقال هي معروفة ، ولا يزال أهلها من التجار يصلون إلينا ، وأنا أعلمك بهم إذا وصلوا .

ويقال إن هذا العدني جد بني الوزان فاسدي المذهب ، وبنو الوزان إلى اليوم رفضة شيع .

---

(١) عدن لاعة : مدينة باليمن ، موقعها فى شمال غرب صنعاء .

(٢) عدن أبين : هى المعروفة فى عصرنا باسم « عدن » عاصمة اليمن الجنوبى .

فلما وصل التجار من « عدن لاعة » ، ومن عيان[1] ، فسألهم عن الموضع فأخبروه عنه ، وأنه في ناحية بلادهم ، وهي قرية صغيرة .

قالوا : فمن أعلمك بها ؟

قال : الناس يسمعون بذكر البلدان .

فلما عزموا على الرحيل تأهب للخروج معهم ، وقال : أنا رجل من أهل العلم ، وقد رغبت بالخروج معكم إلى بلدكم .

ففرحوا به ، وأكرموه ، وقالوا : مرحباً بك نحن أحوج إلى من يبصرنا في أمر ديننا ، ونحن نكفيك المؤونة ، ونحملك .

فأثنى عليهم وشكرهم ، وقال : لا حاجة لي عندكم ، وإنما أردت وجه الله تعالي .

فارتحل معهم ، فكان يسامرهم ، ويروي لهم أحسن الأخبار ، فأحبوه ، وأصغوا إليه وإلى قوله ، فكانوا يحدقون به إكراماً له وتبجيلًا ، حتى قدموا « لاعة » ، فادعى الفقه ومذهب السنة والجماعة ، فتسامع به الناس ، وأقبلوا إليه من كل ناحية وهو مستعمل للورع وحسن السيرة حتى مالت إليه مخاليف المغرب « لاعة » ، و « أقيان » ، « حجة » ، و « عيان » ، و « بلدان البياض »[2] .

فأمرهم بجمع زكاة أموالهم ، فاستعمل عليها منهم ثقاتاً وعدولًا ، يقبضون أعشار أموالهم على ما يوجبه الفقه ، فأقام سنتين بعد قتل محمد ابن يعفر[3] ، واختلاف بنى حوال فيما بينهم .

فقال لهم : قد رأيت أن تبنوا موضعاً منيعاً يكون لبيت مال

---

(١) عيان : مدينة يمنية على مقربة من عدن لاعة المذكورة آنفاً .

(٢) مدن متقاربة فى اليمن .

(٣) تقدمت ترجمته .

المسلمين .

فعزموا على ذلك ، ولم يخالفوه فيما أمرهم به ، فأجمعوا على بناء موضع يقال له « عثر محرم » وهو جبل تحت مسور[1] ، وهو موضع بني العرجاء قوم من سلاطين المغرب همدان ، فلما بنى الجبل ، وحصنه ، وحمل إليه كل مايحتاج إليه بعد أن ساعده إلى إرادته خمسمائة رجل ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق .

ثم إنه بعد ذلك ارتكب الحصن هو وأصحابه ، ونقلوا حريمهم وأموالهم ، وذلك بعد أن أخرج الحوالي عسكراً في جنح الليل إلى مواضع كانوا فيه يقال له : « الحيفة » فى ناحية » لاعة » ، فقتل من أصحاب المنصور اثني عشر ، وارتكب « عثر محرم » بمعاملة لبني العرجاء ، وأنكر الناس أمره ، واضرموا النيران لحربه ، فكتب إليهم إنى ماطلعت هذا الجبل إلّا لأحصن به نفسي من السلطان ، فلم يقبلوا منه ، وجاءوا إليه فقاتلوه فهزمهم ، وقتل منهم بشراً كثيراً ، فعظم حينئذ شأنه ، وشاع إلى جميع العشائر ذكره ، وبلغ الأمير ذلك ، فكتب إلى جميع العشائر حوله يحرضهم على قتاله ، فقاتلوه مراراً وهو ينتصر عليهم .

ثم استنجدوا عليه رجلًا من سلاطين شاور يقال له أبو اسماعيل وبالحوالي صاحب صنعاء ، فأمدوهم بالعساكر الكثيرة ، فهزمهم ، وقتل منهم قتلًا كثيراً .

فازداد بذلك ذكره ، وعظم أمره ، ودخل في طاعته من كان حوله طوعاً وكرهاً ، واستعمل الطبول والرايات ، وأظهر مذهبه ، ودعا إلى عبيد بن ميمون ؟؟ وكان يقول : والله ماأخذت هذا الأمر بمالي

---

(١) فى منطقة كوكبان باليمن .

ولا بكثرة رجالي ، وإنما أنا داعي المهدى الذي بشر به ﷺ[1] .

فانهمك إليه عامة الناس ، ودخلوا في بيعته ومذهبه .

ثم سمت به همته إلى ارتكاب جبل مسور حصن يقال له « فايز » ، فيه خمسمائة رجل وأمور للحوالي ، فلم يزل الملعون يتلطف حتى عامل مع عشرين رجلًا منهم ، فارتكب الجبل بالليل ، فأصبح في رأسه ، وقصد من كان في « بيت فايز » ، وفتح له العشرون الذين عاملوه ، وقال : ادخلوها آمنين .

فقال المنصور : اخرجوا منها فإنا داخلون .

وسأله صاحب الحصن الأمان على نفسه ومن معه ، فأمنهم ، فلما رأى المنصور صاحب الحصن مقبلًا نزل عن دابته ، ومشى إليه ، واعتنقه ، فزال عنه الرعب ، وقال له : إن معي مالًا للسلطان فمن يقبضه ؟

فقال المنصور ـــ لعنه الله ـــ: لسنا ممن يرغب في مال السلطان ، وماطلعت هذا الجبل لأخذ أموال الناس ، وإنما طلعت لاصلاح الإسلام والمسلمين ، خذ مال صاحبك فأده إليه .

فذكروا أنه ـــ لعنه الله ـــ طلع جبل مسور فى ثلاثة آلاف رجل ، ومعه ثلاثون طبلًا ، فكانت طبوله إذا ضربت سمعت إلى المواضع البعيدة من المغرب .

ثم انه حصّن الحصن ، ودربه ، وبنى فيه دار الإمرة ، وهو بيت ريب ، وهو أول من أسسه ، وجعل فيه من يثق به من أهل مذهبه ، ثم بنى بيت ريبة ، ودرب الجبل من كل ناحية ، وجعل له بابين ،

---

(١) أظهر دعوته للمهدى المنتظر سنة ٢٩٠هـ .

وبني فى بيت ريب قصراً وسماه دار التحية .

فعند ذلك أحل ما حرم الله ، وكان يجمع أصحابه في ذلك القصر ونساءهم يرتكبون الفواحش .

وأقام يحارب من حوله من القبائل ، ويبعث إليهم بالعساكر ، فإبادهم ، وأخذ أموالهم ، وقتل رجالهم ، حتى دخلوا في طاعته كارهين ذلك ، واستولى على جميع مخاليف المغرب قهراً .

واستعمل عليهم رجلًا من أهل مذهبه يقال له أبو الملاحف ، فأقام بناحية جبل « تيس » والياً للمنصور ، وخرج بنفسه وعساكره إلى بلاد « شاور » ، فاستفتحتها ، وحاصر صاحبها أبا اسماعيل الشاورى سبعة أشهر ، حتى استنزله من حصنه ، ورجع إلى مسور ، ثم خرج إلى ناحية « شبام حمير[1] » ، فأقام يحاربهم مدة طويلة ، وخرجت عساكره إلى ناحية المصانع من بلد حمير ، فأقام هناك في مراكز لحمير ، فتحموا عليه ، وقتلوا جماعة من عسكره ، فانهزموا إلى مسور ، فغفل عنهم أياماً يسيرة ، وعامل رجلًا يقال له الحسين بن جراح ، وكان في الضلع « ضلع شبام » والياً على أن يعضده على شبام ، ويكون أمرها إليه ، فعاقده على ذلك ، وخرج بنفسه وعساكره ، وقام الحسين بن جراح ، ففتح « شبام الأهجر » ، فأخرج منها بني حوال ، وحمل إلى مسور جميع ما غنمه من ممالك بني حوال وأموالهم ، وأقام هناك شهراً .

وندم ابن جراح على ما كان منه من معاملته ، وخاف على نفسه ، وحالف رجلًا يقال له ابن كيالة من قواد بني حوال ، كان والياً على

---

(١) شبام حمير : بلدة شمال غرب صنعاء ، شرق جبل كوكبان الذى فيه الحصن المنيع المعروف باسمه ، وهى غير بلدة شبام حضرموت ، وغير شبام الأهجر .

صنعاء فجاش ابن كيالة بقبائل حمير وهمدان ، وخالف ابن جراح القرمطى ، فصار في وجهه ، وابن كيالة يقابله على درب شبام ؛ فضاق حال الملعون القرمطى ، وخرج منهزماً بالليل هو وأصحابه إلى مسور ، فذكروا أنه ماخرج إلّا بنفسه ، وترك خيله ، وأقاما في شبام ، حتى رجع لهما القرمطى ثانية ، وذلك عند دخول علي بن فضل صنعاء ، وأنا أذكر ما كان منهما لعنهما الله .

وقد كان المنصور كتب قبل أن يختلف هو وعلي بن فضل إلى ميمون وولده يخبره بما فتح من البلاد ، ووجه إليهما بهدايا ، وطرف من طرف اليمن، وكان ذلك في سنة تسعين ومائتين ، فلما وصلت هديته إلى القداح وولده سرهما ذلك ، وقال لولده : هذه دولتك قد أقبلت .

ثم إن المنصور أقام في مسور إلى أن جرى بينه وبين علي بن فضل الجدني اختلاف ومحاربة ، وأنا أشرح ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

وكان موت المنصور ـــ لعنه الله ـــ سنة اثنين وثلاثمائة ، وولى الأمر من بعده عبد الله بن عباس الشاورى .

باب ذكر علي بن فضل بن أحمد الجدني لعنه الله

وكان من خبره أنه لما افترق هو والمنصور بغلافقة ، خرج إلى اليمن أيضاً ، وفيها جعفر بن إبراهيم المناخي ، وخرج إلى جعفر من « أبين » ، وفيها رجل من الأصابح يقال له : محمد بن أبي العلاء ، فخرج القرمطى إلى **جيشان** ، ثم خرج إلى **سروياقع**[1] ، فتفرسهم ،

(١) سروياقع : منطقة جبلية على مقربة من جيشان .

فعلم أنهم أسرع الناس إلى إجابته .

فطلع رأس جبل ، وبنى فيه مسجداً ، وأخذ بالنسك والعبادة ، فكان نهاره صائماً وليله قائماً ، فأنسوا إليه ، وأحبوه ، وافتتنوا به .

ثم إنهم قلدوه أمرهم ، وجعلوا حكمهم إليه ، فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ، ويسكن بينهم ، فقال : لا أفعل هذا ، ولست أسكن بين قوم جهال ضلال إلّا أن تعطوني العهود والمواثيق أن لا تشربوا الخمر . ففعلوا له ذلك ، وأنهم ينكرون المنكر ، وينكرون على أهل المعاصي بأجمعهم .

فلم يزل يخدعهم بعبادته ، حتى بلغ إلى إرادته ، وأمرهم ببناء حصن في ناحية « سرويافع » ، فأطاعوه ، وسمعوا لأمره .

ثم أنه أنهبهم أطراف بلدان ابن أبي العلاء ، وأراهم أن ذلك جهاد لأهل المعاصي ، حتى يدخلوا في دين الله طوعاً وكرهاً ، وأمرهم أن يتخطفوا بلاد ابن أبي العلاء ، فاشتد بأسهم ، وكانوا لا يلقون جمعاً إلّا هزموه ، وظفروا عليهم ، وذلك لما سبق من علم الله من فتنة المسلمين على يديه لعنه الله .

فلما شاع ذكره وسمع به جعفر بن إبراهيم ، كاتبه ، وفرح به ؛ وذلك لشحناء[1] كانت بينه وبين ابن أبي العلاء لقرب القرمطي إليه ، فكاتبه جعفر على مطابقته[2] على حرب ابن أبى العلاء ، ووجه من عنده عسكراً إلى القرمطي ، وتعاقدا أن يكون جميع ما يفتح من بلدان ابن أبي العلاء بينهما نصفين .

---

(١) الشَّحْنَاء : الحقد والعداوة والبغضاء . يقال : شَحِنَ عليه شحْناً : حَقَدَ .

(٢) المطابقة : الموافقة والمعارفة . يقال : طابق فلانٌ فلاناً : وافقه . وعاونه . وعلى الأمر : مالأه وساعده .

فخرج القرمطي لحرب ابن أبي العلاء بقبائل يافع وعسكر جعفر ، فهزمهم ابن أبى العلاء ، وقتل منهم قتلًا كثيراً ، وانهزم القرمطى إلى سبأ صهيب[1] .

فلما كان الليل جمع أصحابه ، وقال : إني أرى رأياً صائباً ، إن القوم قد أمنوا منا ، وقد علمتم ما فعلوا بنا ، وأرى أن نهجم عليهم ؛ فإنّا نظفر بهم .

فأجابوه إلى ذلك ، وهجم عليهم إلى خنَفَر[2] ، فقتل ابن أبى العلاء وعسكره ، واستباح ما كان له ، وأخذ من خزائنه تسعين ملحماً[3] في كل واحد عشرة آلاف .

فلما رجع إلى بلاد يافع ، عظم شأنه ، وشاع ذكره ، وأجابته قبائل مذحج بأسرها ، وزبيد ، وما لا يحصى عدده ، فلما بلغ ذلك جعفراً اغتم غماً شديداً ، وسفر إليه[4] ينظر ما عنده ، فسأله أن يقسم ماأخذ من **خنفر** ، فجمع القرمطي القبائل والعساكر ، ولقى السفير في أعظم زي من العدة والعدد، فلما عرف بما جاء به السفير ، جمع العساكر ، وقال : إن جعفراً أرسل إلىّ لما بيني وبينه من العهد بقسمة ماغنمت ، وقد أحضرتكم شهوداً على تسليمه إليه ؛ لأني لا رغبة لي في المال ، إنما قمت لنصْرة الإسلام .

فشكروه على ذلك، ثم أحضر المال ، فقسمه شطرين ، وسلم إلى السفير ، وقال : انصرف إلى صاحبك ليلتك ، وقل له يستعد لحربي . وكتب معه كتاباً إليه ، يذكر فيه : إنه بلغني ماأنت عليه من ظلم

---

(١) سبقت الإشارة إليها .
(٢) خنفر : منطقة كانت تقع فى قلب وادى أبين .
(٣) المُلْحَمُ : جنس من الثياب يختلف نوعُ سَدَاه ونوعُ لُحمته ، كالصوف والقطن ، أو الحرير والقطن . (٤) أى بعث إليه سفيراً .

المسلمين ، وأخذ أموال الناس ، وأنا قمت لأميت المظالم ، وأرد الحق إلى أهله ، فإن أردت تمام ما بيني وبينك فرد الظلامات إلى أهلها ، وادفع لأهل **دلال** دية ما قطعت من أيديهم ، وذلك أن جعفراً قطع أيدي ثمانمائة رجل من أهل **دلال** على حجر **المذيخرة**[1] ، يقال إن أثر الدم على الحجر إلى اليوم .

فلما بلغه كتابه علم أنه منابذه[2] الحرب ، فقطع مكاتبته .

فلما كان العام المقبل خرج القرمطي بالجمع الكثير ، فدخل المعافر ، فأمر جعفر بلزوم نقيل بردان عند التعْكر[3] ، وخرج في لقائه أكثر من ألف فارس ، فانهزم القرمطى مولياً إلى بلاد يافع ، فجمع جموعاً كثيرة ، ورجع فهزم جموع جعفر إلى المذيخرة ، فتبعه القرمطى ، فدخل المذيخرة ، وانهزم جعفر إلى تهامة ، فأقام القرمطي فى مذيخرة ، فاستنجد جعفر بصاحب تهامة ، فأنجده بعسكر عظيم ، فطلع حتى صار في موضع يقال له الرواهد بناحية « نخلة » ، فلما سمع به القرمطي خرج إليه في جنح الليل ، فظفر به ، وقتل جعفراً في الجوالة بنخلة .

قال محمد بن مالك الحمادى رحمه الله تعالى : وكان هذا جعفر بن إبراهيم ظلوماً ، غشوماً سفاكا للدماء ، وأنه قال في شعر له طويل قدر مائتي بيت في حرب كانت بينه وبين أبي جعفر الحوالي ، وظفر جعفر على الحوالي ، فى شيء من شعره :

إذا ماتجعظروا بطشنا بقدرة ونفعل ما شئنا ومانتجعظر

---

(١) المذيخرة : موضع بجهة قضاء العدين من أعمال صنعاء .
(٢) نَابَذَهُ الحرب : جاهره بها .
(٣) التعْكر : حصن يمنى معروف على مقربة من بلدة الجَند التى سبقت الإشارة إليها .

فما قبلنا قبل ولا بعد بعدنا ... لمفتخر فخراً إذا عد مفخر

سوى الطيبين الطاهرين الذين هم ... من الرجس والعاهات والسوء طهر

سلالة إسماعيل ذي الوعد والوفا ... ودعوة إبراهيم والبيت يعمر

محمد الهادي النبي وصنوه ... عليّ وسبطاه شبير و شبر[1]

ونسلهم الهادين بالحق والتقى ... بطاعتهم رب السماوات يأمر

ومولاتي الزهراء التي عدل مريم ... وصهر رسول الله مولاي حيدر

رويدك عني بالملامة إنني ... بها وبهم أزهو وأعلو وأفخر

ألا كل مجد ماخلا مجد أحمد ... وعترته من دون مجدى يقصر[2]

وكل امرء والى سوى آل أحمد ... فذاك الذي الدنيا مع الدين يخسر

بهم زادني الرحمن عزاً ومفخراً ... فأحمده حمداً كثيراً واشكر

أنا ابن أبي اسحاق منصور حمير ... وفارسها والشعشعان المظفر

فلولاي لم يخلق سرير ممهد ... ولولاي لم ينصب على الأرض منبر

أنا قمر الدنيا وعمى سراجها ... وجدي الذي كانت به الأرض تعمر

هم أنزلوني منزل العز حيث لا ... يراني إلّا دوني الطرف يحسر

أصول ولا يعدى عليّ وأعتدي ... وأخمد نيران الحروب وأسعر

وطعمي للاعداء مر وعلقم ... وطعمي لأهل السلم شرب معنبر

ألم تر أن البغي مهلك أهله ... وأن الذي يبغى عليه سينصر

رجع الحديث إلى عليّ بن فضل القرمطي ـ لعنه الله ـ أنه لما قتل جعفراً ، أظهر كفره ، وادعى النبوة ، وأحل البنات والأخوات[3] ،

---

(١) الصنو : النظير والمثل ، والأخ الشقيق، والسبط : ولد الابن والابنة، وشبير وشبر : لقبان من ألقاب الحسن والحسين ، وهما فى الأصل اسمان لابنى هارون .

(٢) العِتْرَةُ : نسل الرجل ، ورهطه ، وعشيرته .

(٣) استدل القرامطة فى إحلالهم للزواج من البنت والأخت ، فقالوا : « وما العجب

وفي ذلك يقول شاعرهم[1] على منبر الجامع في الجند :

خذي الدف ياهذه والعبي	وغني هزاريك ثم اطربي
تولي نبي بني هاشم	وهذا نبي بني يعرب[2]
لكل نبي مضى شرعة	وهذي شرائع هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة	وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي	وإن صوموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا	ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المعرسين	من أقربي ومن أجنبي
فكيف تحلى لهذا الغريب	وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربه	وسقاه في الزمن المجدب
وما الخمر وإلّا كماء السماء	حلالًا فقدست من مذهب

والشعر طويل ، وكله تحليل محرمات الشريعة والاستهانة بها .

ثم خرج يريد الحوالي ، وخرج قبل ذلك إلى بلاد يحصب ،

من شيء كالعجب من رجل يدعى العقل ، ثم يكون له أخت أو بنت حسناء ، وليست له زوجة فى حسنها ، فيحرمها على نفسه ، وينكحها من أجنبى ، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبى ، وما وجه ذلك إلّا أن صاحبهم ـ يقصد النبى ـ حرم عليهم الطيبات » . من رسالة القيروانى إلى سليمان بن الحسن كما أوردها البغدادى فى الفرق بين الفرق ، بتحقيقنا ، وإصدار مكتبة ابن سينا بمصر .

(١) ينص صاحب نزهة الجليس ٢ : ٣٠٨ على أن الأبيات العشرة التالية هى من شعر على بن الفضل ، ومطلعها عنده : « خذى الدف ياهذه واضربى » . وهذه الأبيات تمثل المعرى ببعضها فى رسالة الغفران ، طبعة المعارف ٣٧٣ .

(٢) أى علىّ بن الفضل ، وقد كان المؤذن يؤذن فى مجلسه فيقول : « وأشهد أن علىّ ابن الفضل رسول الله » ، . بل قد زعم بعض المؤرخين أنه تجاوز ادعاء النبوة إلى ادعاء الإلوهية فيقولون إنه كان يكتب إلى عماله : « من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها على بن الفضل ، إلى عبده فلان » .

فدخل **منكث** ، فأحرقها .

ثم خرج يريد الحوالى صاحب صنعاء ، فلما بلغ بلد **عنس** ، وكان للحوالى مأمور فى هران ، فأرسل إليه القرمطى ليدخل فيما هم عليه ، فأجابه إلى ذلك ، فنزل إليه ، ودخل فى ملته وقرمطته[1] ، وكان معه خمسمائة فارس : رجع منهم إلى صنعاء إلى الحوالي مائة وخمسون .

وخرج القرمطي يريد صنعاء ، فلما سمع به الحوالي ، وبالجموع التي معه ، وعلم أنه لا طاقة له به خرج من صنعاء هارباً إلى الجوف ، فدخل القرمطي صنعاء ، فأقام فيها ، وأظهر فيها الفحشاء ، وأمر الناس بحلق رؤوسهم ، ثم التقي هو وصاحب مسور الحسن بن منصور إلى شبام فأقاما هنالك أياماً ، وعلي بن فضل يكبر المنصور ، ويقول : إنما أنا سيف من أسيافك ، والمنصور يهابه ، ويخافه على نفسه لما يرى من شهامته وإقدامه .

فعزم على الخروج إلى مخاليف **البياض**[2] ، فنهاه المنصور ، وقال له : قد ملكنا اليمن بأسره ، ولم يبق إلّا الأقل ، فعليك بالتأني والوقوف في صنعاء سنة ، وأنا في **شبام** ، فيصلح كل واحد ما استفتح ، ثم بعد ذلك يكون لنا نظر ، فإنك إن خرجت من صنعاء خالف أهلها ، وفسد علينا ما ملكناه .

فلم يقبل منه ، وقال : لابد من الخروج .

واستفتح تهامة ، فخرج إلى مخاليف البياض ، وهي بلاد وعرة ، فلما توسط بينهم ومعه قدر ثلاثين ألفاً أحاطوا به ، وقطعوا عليه الطرق ، ولم يقدر على التخلص ، فلما سمع المنصور خاف عليه ،

---

(١) أى زندقته ، فالقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة . انظر : الحور العين ١٩٩ .

(٢) البياض : منطقة وعرة تقع بالقرب من صنعاء اليمن .

وأغار إليه ، واستنقذه ، فرجع إلى شبام ، وعاد إلى صنعاء ، وخرج إلى جبال **حضور** ، ثم إلى **حراز** ،ثم إلى **ملحان** ، ونزل **المهجم** ، وقتل صاحبها ، وهو إبراهيم بن علي رجل من عك . واستفتح **الكدراء** ، ورجع إلى ملحان ، وسرى بالليل إلى زبيد ، وفيها المظفر بن حاج ، ومعه ستمائة فارس ، وهجم عليهم في أربعين ألفاً ، فأحاط بعسكره ، فقتل المظفر بن حاج ، وكان المظفر مأموراً لصاحب بغداد(1) .

وسبى القرمطي من زبيد أربعة آلاف عذراء ، ثم خرج منها إلى الملاحيط ، وأمر صائحه عسكره : يا جند الله . فلما اجتمعوا إليه قال : قد علمتم إنا مجاهدون ، وقد أخذتم من نساء الحصيب ما قد علمتم ، وإن نساء الحصيب تفتن الرجال ، فيشغلنكم عن الجهاد ؛ فليذبح كل رجل منكم من في يده !

فسميت الملاحيط المشاحيط(2) لذلك .

ثم رجع إلى مذيخرة دار مملكته ، وأمر بقطع الحج ، وقال : حجوا إلى الحرف ، واعتمروا إلى الثاني ، موضعان معروفان هنالك .

فلما أصبحت اليمن بيده ، وقتل الأضداد مثل : المناخي ، وجعفر ابن الكرندي ، والرؤساء ، وطرد بني زياد وكانوا رؤساء مخلاف جعفر ، ولم يبق له ضد يناوئه(3) ، عطل المنصور ، وخلع عبيد بن

---

(1) يقصد بصاحب بغداد الخليفة العباسي على (المكتفى بالله) ابن أحمد المعتضد ابن الموفق ابن المتوكل ، مولده ووفاته (٢٦٣ ـ ٢٩٥هـ = ٨٧٦ ـ ٩٠٨م) ، قال ابن دحية : أنفق الأموال العظيمة فى حروب القرامطة الخارجين على الحجيج ، حتى أبادهم واستأصلهم . وفى أيامه فتحت أنطاكية ، وكان الروم قد استولوا عليها . وتوفى شاباً ببغداد .

(2) شَحَطَ القتيلُ فى الدم : اضطرب . وشَحَّطَهُ فى دمه ، وبدمه : جعله يضطرب ويتخبط فيه . (3) أى لم يبق له عدو يعارضه .

ميمون[1] الذي كان يدعو إليه .

فكتب إليه المنصور يعاتبه ، ويذكر ما كان من إحسان القداح ، وقيامه بأمرهما ، وما أخذ عليهما من العهد لابنه ، فلم يلتفت إلى قوله .

وكتب إليه إنما هذه الدنيا شاة من ظفر بها افترسها ، ولي بأبي سعيد الجنابي أسوة ؛ لأنه خلع ميموناً وابنه ، ودعا إلى نفسه ، وأنا أدعو إلى نفسي ، فإما نزلت على حكمي ودخلت في طاعتي وإلا خرجت إليك . وقد كان سعيد الجنابي[2] دخل مكة في ذى الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وقتل فيها ثلاثة عشر ألفا ، وقطع الركن يوم النحر ، وهو القائل لعنه الله :

فلو كان هذا البيت لله ربنا ... لصب علينا النار من فوقنا صبا

لأنا حججنا حجة جاهلية ... مجللة لم تبق شرقاً ولا غربا

وإنا تركنا بين زمزم والصفا ... كتائب لا تبغي سوى ربها ربا

ولكن رب العرش جل جلاله ... ولم يتخذ بيتاً ولم يتخذ حجبا

في شعر طويل . وقد كان الخليفة ببغداد[3] كتب إليه يذكر له

---

(١) يريد عبيد الله المهدى ، وقد سبق التنبيه على عدم دقة المؤلف فى اعتباره عبيداً ابناً لميمون .

(٢) هذا خطأ من المؤلف ؛ فلم يكن سعيد الجنابى هو الذى فعل ذلك ، وإنما هو أخوه سليمان بن الحسن الجنابى أبو طاهر . انظر الكامل لابن الأثير ٨ : ٢٧ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٥ . وفوات الوفيات ١ : ١٧٥ ، والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٢٥ ، وسير النبلاء : الطبقة التاسعة عشرة ، وفيه : « ووهم السمنانى فقال فى تاريخه إن الذى نزع الحجر أبو سعيد الجنابى . وإنما هو ابنه أبو طاهر هذا » .

(٣) هو الخليفة العباسى المقتدر جعفر بن أحمد (٢٨٢ - ٣٢٠هـ = ٨٩٥ - ٩٣٢م) وقد كان خليفة ضعيفاً مبذراً استولى على الملك فى عهده خدمه ونساؤه= .

ما فعل ويتوعده على ما استحل فأجابه أبو سعيد القرمطي[1] :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين .

من أبي الحسن الجنابي[2] ، الداعي إلى تقوى الله القائم بأمر الله ، الآخذ بآثار رسول الله ﷺ ، إلى قائد الأرجاس المسمى بولد

أما بعد : عرفك الله مرشد الأمور ، وجنبك التمسك بحبل الغرور ، فإنه وصل كتابك بوعيدك وتهديدك ، وذكرك ما وضعته من نظم كلامك ، وقمت به من فخامة اعظامك ، من التعلق بالأباطيل ، والاصغاء إلى فحش الأقاويل من الذين يصدون عن السبيل ، فبشرهم بعذاب أليم على حين زوال دولتك ، ونفاذ منتهى طلبتك ، وتمكن أولياء الله من رقبتك ، وهجومهم على معاقل أوطانك ظفراً ، وسبيهم حرمك قسراً ، وقتل جموعك صبراً ، أولئك حزب الله : ﴿ **ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾[3] ، وجند الله هم الغالبون .

هذا وقد خرج عليك الإمام المنتظر كالأسد الغضنفر في سرابيل الظفر ، متقلداً سيف الغضب ، مستغنياً عن نصر العرب ، لا يأخذه

=وخاصته ،والبون شاسع بينه وبين أبيه المعتضد : ذاك جدد شأن الدولة ، وهذا ذهب برونقها وهوى بها . وفى أيامه قتل الحلاج ، وقوى أبو طاهر القرمطى فقلع الحجر الأسود ، قال ابن دحية : « قتل القرمطى الخلق العظيم بالعراق والجزيرة والشام إلى أن عاد إلى الأحساء وملكها ، ووزراء الخليفة ، فى ذلك كله يتنافسون فى صيد الدراج وينثرون على راميها المال الجزل ويدخلون فى الشريعة اللعب والهزل . وأم المقتدر تطوى عن ابنها الأخبار من الرزايا والفجائع ، وتقول : إظهارها يؤلم قلبه ! فأدى ذلك إلى غاية الفساد » . انظر : النبراس لابن دحية ٩٥ ـ ١١٣ .

(١) الصواب ابو طاهر سليمان بن الحسن ـ كما أشرنا أعلاه .

(٢) انظر الهامش السابق .

(٣) المجادلة : ٢٢ .

في الله لومة لائم ، ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** ﴾[1] ، وقد اكتنفه العز من حواليه ، وسارت الهيبة بين يديه ، وضربت الدولة عليه سرادقها[2] ، وألقت عنه قناع بوائقها[3] ، وانقشعت طخاء[4] الظلمة ، ودجنة[5] الضلالة ، وغاضت[6] بحار الجهالة ؛ ليحق الحق ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون .

تالله غرتك نفسك ، وأطمعتك فيما لست نائله ، وسولت لك مالست واصله ، فكتبت لي بما أجمعت عليه أذهان كتابك ، ذكرتني بالعيوب الشنيعة ، وقذفتني بالمثالب السمجة ، تالله ﴿ **لتسألن عما كنتم تعملون** ﴾[7] .

فأما ماذكرت من قتل الحجيج ، وإخراب الأمصار ، وإحراق المساجد ، فوالله مافعلت ذلك إلّا بعد وضوح الحجة كإيضاح الشمس ، وادعاء طوائف منهم أنهم أبرار ، ومعاينتي منهم أخلاق الفجار ؛ فحكمت عليهم بحكم الله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[8] .

خبرنى أيها المحتج لهم ، والمناضل عنهم ، في أي آية من كتاب الله ، أو أي خبر عن رسول الله ﷺ إباحة شرب الخمور ، وضرب

---

(١) المائدة : ٥٤ .
(٢) السُّرادق : كل ماأحاط بشيء من حائط أو مِضْرَب .
(٣) البوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية والشر .
(٤) الطَّخاءُ : الغشاء يُغطِّي غيره .
(٥) الدُّجْنَةُ : السواد والظلمة .
(٦) غاضَ الماءُ : نزل فى الأرض وغاب فيها . ويقال : غيض الماءُ ، فهو مغيض . وفى القرآن الكريم : ﴿وياسماء أقلعى وغيض الماء﴾ .
(٧) النحل : ٩٣ .
(٨) المائدة : ٤٤ .

الطنبور[1] ، وعزف القيان[2] ، ومعانقة الغلمان ، وقد جمعوا الأموال من ظهور الأيتام ، واحتووها من وجوه الحرام .

وأما ماذكرت من إحراق مساجد الأبرار ، فأي مساجد أحق بالخراب من مساجد إذا توسطتها ، سمعت فيها الكذب على الله تعالى ، وعلى رسوله ﷺ بأسانيد عن مشايخ فجرة ، بما أجمعوا عليه من الضلالة ، وابتدعوا من الجهالة .

وأما تخويفك لي بالله ، وأمرك بمراقبته ، فالعجب من بهتك ، وصلابة حدقتك ، أترى أني أجهل بالله منك ، وصرفك أموال المسلمين للخصيان والضراطين ، ومنعها عن مستحقيها ، يدعى على المنابر للصبيان ويخطب للخصيان : ﴿**ءآلله أذن لكم أم على الله تفترون**﴾[3] .

وأما ماذكرت أني تسميت بسمة عدوان ، فليس بأعظم من تسميك بالمقتدر بالله أمير المؤمنين ، أي جيش صدمك ، فاقتدرت عليه ؟! أم أى عدو ساقك فابتدرت إليه ؟! لأنت أمير الفاسقين أولى بك من أمير المؤمنين ، وانك لتقلد بعض خدمك شيئاً من أمرك ، فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى ، فأي الأمرين أقرب للتقوى ؟ أو ماعلمت أنه من انقاد له نفر من عشيرته ، وعصابة من بني عمه وأسرته فقد سادهم وعلا فيهم .

وبعد : فمالك وللوعيد والإبراق والتهديد ، اعزم على ماأنت عليه عازم واقدم على ماأنت عليه قادم ، والله من ورائي ظهير ، وهو نعم

---

(١) الطنبور : آلة من آلات اللعب واللهو والطرب ، ذات عنق وأوتار .
(٢) القيان : جمع قينة وهى الأَمَةُ صانعةً أو غير صانعة ، وغلب على المغنية .
(٣) يونس : ٥٩ .

المولى ونعم النصير ، والحمد لله وصلى الله على خير بريته وآله وعترته » .

قال محمد بن مالك الحمادى رحمه الله تعالى : يرجع الحديث إلى قصة صاحب مسور ، وعلي بن فضل لعنهما الله تعالى . وذلك أن صاحب مسور لما علم أن علي بن فضل غير تاركه ، كما ذكر في كتابه ، عمد إلى جبل مسور فحصنه ، وأعد فيه جميع ما يحتاج إليه للحصار ، وقال لأصحابه : اني لأخاف هذا الطاغية ، ولقد تبين لي في وجهه الشر حين واجهته في **شبام** .

فلم يلبث علي بن فضل أن خرج لحرب المنصور ، واختار لحربه عشرة آلاف مقاتل من يافع ومذحج وزبيد وعنس وقبائل العرب ، فدخل قرية **شبام** ، وأخرج المنصور للقائه ألف مقاتل إلى موضع يقال له المصانع من بلد حمير ، فضبطوا ذلك الجبل ، فزحف إليه ، فاقتتلوا من أول النهار إلى الليل ، فخرج علي بن فضل على طريق العضد ، ودخل **لاعة** مصعداً إلى جبل الجمجمة مقاتلًا للمنصور ، فضرب فيها ورجع إلى أصحاب حضور المصانع ، فلزموا **بيت ريب** ، وضبطوا الجبل ، فأقسم أن لا يبرح حتى يستنزل المنصور ، فحاصره ثمانية أشهر .

وقيل إن المنصور حمل من سوق طمام خمسمائة حمل ملح قبل وصول علي بن فضل ، وعق[1] له فى الجبل عقاً واسعاً في موضع كثير التراب ، وأوقدوا فوقه الحطب أياماً حتى استملح الجبل ، فصار ملحاً كله ، ثم نقله إلى الخزائن .

ثم إن علي بن فضل ملَّ المقام ، فلما علم منه المنصور ذلك ، دس

(١) عق : حفر فى الجبل حُفراً مستطيلة .

عليه في أمر الصلح ، فقال : لست أبرح وقد علم أهل اليمن قصدي لمحاصرته إلّا أن يرسل إليّ بعض ولده ، فيكون ذلك لي مخرجاً عند الناس ، ويعلمون أنه قد دخل في طاعتي .

فأرسل إليه ولده ودفعه بالتي هي أحسن ، فرجع إلي **مذيخرة** فأقام عنده ولد المنصور سنة ، ثم رده إلى أبيه وبره وطوقه بطوق من ذهب .

ثم أقام بمذيخرة يحل المحرمات ، ويرتكب الفواحش ، وأمر الناس باستحلال البنات والأخوات ، وكان يجمع أهل مذهبه في دار واسعة يجمع فيها الرجال والنساء بالليل ، ويأمر باطفاء السرج ، وأخذ كل واحد من وقعت يده عليها .

وروي أن عجوزاً محدودبة الظهر ، وقعت مع رجل منهم فلما تبنى بها[1] خلاها[2] ، فتعلقت بثيابه ، وقالت : « دوبد من ذي حكم الأمير[3] » فجرت مثلًا .

ويقال إن أيامه ـــ لعنه الله ـــ كانت سبع عشرة سنة ، ومات مسموماً سنة ثلاث وثلثمائة .

وكان سبب موته لعنه الله أن رجلًا من أهل بغداد يقال إنه شريف وصل إلى الأمير أسعد بن أبي يعفر الحوالي ، وكان في ذلك الوقت هارباً من القرمطى في الجوف من بلد همدان مستجيراً ببني **الدُعام** ،

---

(١) أى فلما شرع فى مجامعتها .

(٢) أى تركها .

(٣) المراد بـ « دو » فى لغة من لغات اليمن القديمة : لا ، و « ذى » : الذى . وعلى هذا يكون معنى المثل : لا مفر من تنفيذ الحكم الذى حكم به الأمير من وجوب مجامعة الرجل للمرأة التى تكون من نصيبه فى الظلام .

وأن ذلك البغدادى وهب نفسه لله وللإسلام ، وقال للأمير : تعاهدني وأعاهدك أني إذا قتلت هذا القرمطي كنت معك شريكاً فيما يصل إليك .

فعاهده على ذلك ، وكان طبيباً حاذقاً ، فخرج إلى مذيخرة ، فكان مع كبار أهل دولة القرمطي ، يفتح لهم العروق ، ويسقيهم الدواء ، ويعطيهم المعجونات ، حتى وصفوه للقرمطي بالحذق بالطب ،وفتح العروق ، وقالوا : إن مثلك لايستغني أن يكون في حضرته مثله .

ثم إنه احتاج إلى إخراج الدم ، فأمره أن يفصده[1] ، فعمد إلى السم ، فجعله على شعر رأسه ، فدخل على القرمطي ، فسلم عليه ، فأمره أن ينزع ثيابه ، ويلبس غيرها ، ثم أخرج المبضع ، ثم مصه ، وعلي بن فضل ينظر إليه ، ثم مسحه برأسه ، فتعلق به من السم حاجته ، ثم فصده وخرج من ساعته ، فركب دابته ، وخرج هارباً ، فلما أحس عدو الله بالموت أمر بقتل الطبيب ، فلم يوجد فلحقوا به دون **نقيل صيد** بازاء **قينان** ، فقتلوه هنالك رحمه الله تعالى ، ومات القرمطي لا رحمه الله .

وولى الأمر من بعده ولده الفأفاء ، وشاع موته في الناس ، ووصل إلى الحوالي[2] جماعة من رؤساء الناس : بنو المحابى والانبوع وغيرهم ،

---

(١) أى أمره أن يخرج مقداراً من دم وريده بقصد العلاج .

(٢) هو أسعد بن إبراهيم بن أبى يَعْفُر الحوالى : (٠٠٠ ـ ٣٣٢ هـ = ٠٠٠ ـ ٩٤٤ م) زعيم يمانى ، من الأمراء . كان قد قاتل القرامطة أيام استيلائهم على اليمن . وانتزع منهم صنعاء . ثم استولوا عليها ، فقاتلهم فى ذمار ، وصالحه على بن الفضل القرمطى فولاه صنعاء ، فخطب لعلى بن الفضل وهو مضطغن عليه ، ولبس البياض ـ وكان شعار القرامطة باليمن ـ وقطع ذكر بنى العباس ، حتى مات على بن الفضل ، وكان من أمره ماسيذكره المؤلف أعلاه ...

فزحف بالعسكر الغليظ لحرب القرامطة ، فدخل التعكر ، ثم تقدم إلى جبل التومان ، فحاصر القرامطة ، وسلط الله سبحانه وتعالى عليهم سيف النقمة ، لا يخرج لهم جمع إلّا هزموا ، أو قتلوا ، وأيد الله سبحانه وتعالى المسلمين بنصره . قال الله تعالى : ﴿ **إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون** ﴾[1] .

فأقام يحاصر القرامطة سنة ، ويقال : إن من شدة عزمه وحزمه وتقصيه أنه ما حل عدته ولا سلاحه بل يصلى وعليه عدته وسلاحه ، حتى فتح الله عليه ، وقتل القرامطة ، وأحيا الإسلام .

وليس كولاة الأمر من أهل زماننا الذين غرقوا في اللذات ، واتبعوا الشهوات ، ولم يرغبوا في المكارم والنجدات ، وعظوا فلم يتعظوا ، وناموا فلم يستيقظوا ، ونظروا ما حل بغيرهم فلم يعتبروا .

وقد قيل في المثل السائر :

وإذا رأيت أخوك يحلق رأسه ... أوشكت بعد أخيك تصبح أصلعا

ومن عجز عن رعاية رعيته ، وجار عليها في حكمه وقضيته ، دل على زوال مملكته وتعجيل منيته ، وقد قال الأول :

ومن رعى غنماً في أرض مسبعة ... ونـــام عنها تولى رعيها الأسد

وإذا فرط الراعى في أمر رعيته ، وطاوع نفسه الدنية ، وذهبت عنه الأنفة والحمية ، فقد عظمت عليه البلية ، وقال الأفوه الأودي[2] :

---

(١) الصافات : ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) صلاءة بن عمرو بن مالك ، من بنى أود ، من مذحج : (... - نحو ٥٠ ق هـ = ... - نحو ٥٧٠ م) شاعر يمانى جاهلى ، يكنى أبا ربيعة . قالوا : لقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ، ظاهر الأسنان . كان سيد قومه وقائدهم فى=

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
تهدي الأمور بأهل الرأي ما صلحت فإن تولت فبالأشرار ينقادوا

رجع الحديث إلى محاصرة الحوالي ، فروي أنه نصب المنجنيقات[1] ، فهدم المذيخرة بعد سنة ، ودخل على القرامطة فقتلهم ، وأخذ من الغنائم ما لا يحصى ، وسبى بنات القرمطي وكن ثلاثاً ، فصارا اثنتين في رعين وواحدة وهبها الأمير لابن أخيه قحطان .

وأباد الله القرامطة على يد الأمير الحوالي بمنه وسعادته ، وجعل لا يسمع بأحد منهم إلا قتله ، ورجع إلى صنعاء وقد أطفأ جمرة الشرك ، وملك جميع البلاد ، وزالت الفتنة وارح الله من القرامطة وطهر منهم البلاد ، وأمن منهم العباد ، وسار الأمير في الناس بأحسن سيرة ، وعدل في الرعية ، ورد بني المحابي إلى مخلاف جعفر ، وجرت المكاتبة بين الأمير الحوالي والأمير إبراهيم بن زياد ، والناصر أحمد بن يحيى الامام الهادى[2] صاحب صعدة ، وتعاقدوا على المعاضدة والمناصرة وقتل القرامطة حيثما وجدوا ، وذكروا أنه كان يوجد عنوان : كنتم بركة في بركة ونعمة مشتركة ، والأرض فيما بيننا قد حصلت فى شبكة .

=حروبهم . وهو أحد الحكماء الشعراء فى عصره . ويُعتبر أشهر شعره البيتان الذى ذكرهما المؤلف أعلاه . انظر معاهد التنصيص ٤ : ١٠٧ ، والشعر والشعراء ٥٩ ، وشعراء النصرانية ٧٠ ، وسمط اللآلى ٣٦٥ ، وجمهرة الأنساب وهو فيه : « صلاءة ابن عمرو بن عوف بن منبه بن أود » .

(١) المنجنيقات : جمع منجنيق وهى آلة قديمة من آلات الحصار كانت تُرمى بها حجارة ثقيلة على الأسوار فتهدمها .

(٢) أحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم الحسنى العلوى ، الناصر لدين الله : (٠٠٠ ـ ٣٢٥ هـ = ٠٠٠ ـ ٩٣٧ م) إمام زيدى يمانى ، من علمائهم وبسلائهم . ولى الإمامة سنة ٣٠١ هـ بعد اعتزال أخيه (محمد بن يحيى) وجهز جيشاً=

وكان الخارج إذا خرج من بلد أحدهم لذنب أذنبه كاتب فيه ، وسأل الصفح عنه ، وصفت لهم المعيشة ، واستقامت لهم الدولة ، ولزم كل واحد منهم بلده ، ولم يطمع واحد على صاحبه ، وألف الله بين قلوب المسلمين ، ولم يبق من القرامطة إلا شرذمة قليلة من أولاد المنصور في ناحية مسور ، وأبادهم الله تعالى على يد الدعام بن إبراهيم[1] ، والناصر بن يحيى ، وأنا أذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

باب ذكر أولاد المنصور

مات ــ لعنه الله ــ سنة اثنتين وثلثمائة ، واستخلف على أهل دعوته رجلاً يقال له عبد الله بن عباس الشاوري وأوصى إليه والى ولده أبي الحسن المنصور ، وقال :

« قد أوصيتكما بمبدأ الأمر فاحفظاه ، ولا تقطعا دعوة بني عبيد بن ميمون ، فنحن غرس من غرسهم ، ولولا ناموسهم وما دعونا به إليهم ما صار إلينا من الملك ما قد نلناه ، ولا تم لنا في الرئاسة حال ؛ فعليكما

= في ٣٠ ألفاً دخل به « عدن » وقاتل القرامطة فظفر بهم ، واستمر موفقاً إلى أن توفى بصعدة . وله تصانيف . انظر : بلوغ المرام ٣٣ ، وإتحاف المسترشدين ٤٥ ، والأعلام ١ : ٢٦٨ .

(١) الدُّعَام بن إبراهيم بن عبد الله بن يأس الأَرْحَبي : (... ـ نحو ٢٩٨ هـ = ... ـ نحو ٩١٠ م) شيخ كهلان ، بل سيد همدان ، في عصره . اشتهر بالنجدة والفروسية والدهاء والجود . قال الهمداني : « وهو الذى قام على آل يعفر ـ في اليمن ـ فاستلب المملكة منهم ، وملك بلدهم ، وتأمر بصنعاء ، وجبيت إليه اليمن إلى ساحل عدن » ، واستعان آل يعفر ، بالموفق والمعتضد ، فخرج الدعام من صنعاء ، ثم عاد إليها مع الهادى إلى الحق (يحيى بن الحسين) سنة ٢٨٨ هـ ، وسلمه بلد همدان ، وقاتل معه القرامطة وغيرهم ، وظل معه إلى آخر أيامه . انظر الأعلام ٢ : ٣٣٩ ، والإكليل ١٠ : ١٧٩ و١٨٦ فيه : « وسؤدد آل الدعام عظيم وأخبارهم كثيرة » .

بمكاتبة القائم منهم ، واستيراد الأمر منهم ؛ فأوصيكما بطاعة المهدي ـ يعني عبيد بن ميمون ـ حتى يرد أمره بولاية أحدكما ، ويكون كل واحد منكما عوناً لصاحبه » .

وقد كان لعبد الله بن عباس ، عند عبيد بن ميمون سابقة ومعرفة ، لأن المنصور قد كان ـ لعنه الله ـ بعثه مع أبي عبد الله الشيعي[1] الخارج بكتامة من بلاد الغرب على ماأذكره فيما بعد .

ثم ان عبد الله بن عباس كتب إلى عبيد بن ميمون المسمى بالمهدى ، بموت المنصور ، وهو يومئذ بمدينة بناها وسماها المهدية[2] بالغرب ، وأنه قام بمذهبه من بعد المنصور ، ودعا إليه ، وأنه لم يبق إلا استيراد الأمر ، ويسأله الولاية لنفسه ، وعزل أولاد المنصور .

وخرج ولد المنصور بنفسه إلى القيروان يسأل الولاية لنفسه ، ولا ينزع الأمر منهم بعد أبيهم ، وقد كانت وصلت هدايا ابن عباس وكتابه ، وولاه الأمر ، وكتب له . فلما وصل ابن المنصور أمره بطاعة ابن عباس ، وبعث لابن عباس بسبع رايات .

فرجع ولد المنصور إلى مسور ، وقد يئس مما كان يرجو من الولاية ، فلقيه عبد الله بن عباس بنفسه وأهل دعوته ، فبجله وعظمه . ولقيه أخوه جعفر وأبو الفضل وبقية أولاد القرمطى لعنه

---

(١) يعتبر هذا الرجل الممهد الأول لدولة الفاطميين ، وناشر دعوتهم بالمغرب . وكان من الدهاة الشجعان ، من أعيان الباطنية وأعلامهم . وأصله من صنعاء . اتصل فى صباه بالإمام محمد الحبيب (أبى المهدى عبيد الله) ، ثم بذل جهده بعد ذلك فى الدعوة إليه ، ونجح فى ذلك نجاحاً غير مسبوق ، إذ تترتب على جهوده هذه نشوء دولة الفاطميين أكبر خلافة شيعية عرفها التاريخ قبل الثورة الإيرانية . مات سنة ٢٩٨ هـ مقتولًا بأمر عبيد الله المهدى الذى استثقل وطأته وتحكمه وانقياد الناس إليه !!

(٢)المهدية : مدينة من مدن تونس .

الله ، فسألوه بما ورد به الأمر ، فعرفهم بصرف الأمر عنهم إلى عبد الله ابن عباس دونهم ، فتبين لجعفر في وجه أخيه أبي الحسن الشر والعداوة لابن عباس والحسد ، فنهاه عن ذلك ، وقبح عليه وزجره ، وقال له : أنت تعلم أنه غرس أبينا ، وأنه لا يقدم علينا سوانا في هذا الأمر .

قال : والله لا تركته يتنعم في ملك عني به غيره ، ونحن أحق به منه .

فقال له أخوه جعفر : إن أمرنا إذاً يتلاشى ، ويزول ملكنا ، وتفترق هذه الدعوة ، ويذهب الناموس الذي نمسناه على الناس ، فلا تحدث نفسك بهلاكه فتهلك .

فلم يلتفت إلى قوله ، وكتم السر نفسه ، وكان أولاد المنصور لا يحجبون عن أبي العباس ليلًا ولا نهاراً ، فوثب عليه أبو الحسن بن المنصور ، فقتله غدراً ، وولي الأمر من بعده ، فولي ما كان أبوه يلي ، ورجع إلى مذهب الإسلام ، وجمع العشائر من بلده ، وأشهد أنه رجع عما كان عليه أبوه ، فأحبه الناس ، فدخل عليه جعفر ، فقبح ما فعله ، وقال : قطعت يدك بيدك .

فلم يلتفت إلى قوله .. وخرج جعفر إلى ولد عبيد المسمى بالقائم ، فكاتب أخاه يعيب عليه فعله بشعر طويل يقول فيه :

فكنتم وأنتم تهدمون وأبتني فشتان من يبني وآخر يهدم

وتتبع أبو الحسن من كان على دين أبيه يقتلهم ، فأباد القرامطة ، وبقي منهم قوم يتكتمون منه ، وأقاموا ناموسهم برجل منهم ، وكان لا يقطع مكاتبة بني عبيد .

ثم ان أبا الحسن خرج من مسور إلى عثر محرم ، وفيه يومئذ رجل

من بني العرجاء ، واستخلف أبو الحسن على مسور رجلًا يقال له إبراهيم بن عبد الحميد السباعي ، وهو جد بني المنتاب . فوثب ابن العرجي على أبي الحسن فقتله .

فلما انتهى الخبر إلى إبراهيم بن عبد الحميد السباعى لزم مسوراً ، وادعى الأمر لنفسه ، وأخرج أولاد المنصور وحريمه من مسور إلى جبل ذي عسب ، فوثب عليهم المسلمون من أهل المغرب[1] ، فقتلوهم الصغير منهم والكبير ، وسبوا حريمهم ، ولم يبقوا على وجه الأرض من الكافرين دياراً[2] ، ولم يبق للمنصور عقب يعرف بحمد الله ومنه .

ثم إن إبراهيم بن عبد الحميد اتفق هو وابن العرجي ، واقتسما بينهما نصفين ، لكل واحد منهما ما يليه ، ورجع إبراهيم عن مذهب القرامطة ، وكان أبوه من كبار قواد المنصور ، وأصله من قدم من حمير ، وكان أبوه قتل في مخلاف البياض ، لأن المنصور كان أخرجه إلى هنالك بالعساكر .

ثم إن إبراهيم بنى في بيت ريب مسجداً ، ونصب منبراً وخطب لأمير المؤمنين من بني العباس ، وكاتب الأمير أبا الحسن بن إبراهيم بن زياد ، وبذل له من نفسه السمع والطاعة ، والدخول في الخدمة ، وسأله أن يبعث إليه محاضر من قبله يكون عنده ، فأرسل رجلًا يقال له السراج ، وقال له : إذا تمكنت قبضت على إبراهيم بن عبد الحميد .

فوصل من زبيد ، ولقيه إبراهيم بن عبد الحميد إلى بيت ريب ، وطلع إبراهيم بن عبد الحميد إلى حصن في رأس الجبل ، وكان ينزل إليه كل يوم يصحبه ويعظم حقه .

---

(١) المراد غرب اليمن ، لا المغرب العربي بشمال إفريقيا .

(٢) الدَّيَّارُ ـ يقال : ما بالدَّار دَيَّارٌ : أَحَدٌ .

ثم إن السراج عامل على إبراهيم ناساً من أهل الجبل ، فنزل إليه يصحبه ، فلقيه رجل من المعاملين ، فأخبره بالمعاملة ، فرجع إلى خصنه ، فضرب الطبول ، فاجتمع إليه الناس ، ومن كان فيه من أهل دولته ، فدخل على السراج ، فقبض عليه ، فأمر بحلق لحيته ، ونفاه عن بلده .

وانقطعت المكاتبة بينه وبين ابن زياد ، واستمر أمره ، وجعل يتتبع القرامطة يقتلهم ويسبي ذراريهم ، فبقي منهم قليل في ناحية جبل مسور ، فأقاموا قرمطياً منهم يقال له ابن الطفيل ، فسمع به إبراهيم بن عبد الحميد ، فخرج إليه فقتله ، وتفرق من بقي من أصحابه إلى نواحي عمان وقطابة ، وانكتم أمرهم عن إبراهيم .

ثم إنهم أقاموا ناموسهم برجل يقال له ابن رحيم ، وذلك في أيام المنتاب ، بعد موت أبيه إبراهيم ، وكان ابن رحيم هذا لا يستقر في موضع واحد ، خوفاً من المنتاب ، ومن المسلمين ، وهو يكاتب ابن عبيد ، وذلك بعد خروج المعز من القيروان إلى بلاد مصر عند بنائه القاهرة المنسوبة إليه ، فلم يزل ابن رحيم يكاتب أهل مصر المعز ومن بعده ، وينهى أخبار أهل اليمن حتى مات لا رحمه الله .

واستخلف على من بقى من القرامطة ــ لعنهم الله ــ رجلًا يقال له يوسف ابن الأسد من أهل شبام حمير ، فأقام ــ لعنه الله ــ يدعو إلى الحاكم ويبايع له على وجه السر حتى مات لعنه الله .

واستخلف على مذهبه رجلًا يقال له سليمان بن عبد الله الزواخي من حمير ، من ضلع شبام من موضع يقال له الخنن ، فأقام يدعو إلي الحاكم وإلى المستنصر ، وكان الملعون كثير المال عظيم الجاه ، فاستمال الرعاع والطغام إلى مذهبه ، وكان في أيامه قد شهر نفسه بالمبايعة لأهل مصر

من بني عبيد بن ميمون الملعون ، وقد كان عرف بذلك ونسب إليه .
فكلما هم به المسلمون من حمير وشبام ، وما حوله من القبائل ، دفعهم بالجميل وقال لهم : أنا رجل مسلم ، فكيف يحل لكم قتلي ؟ فينتهون عنه .

وكان فيه كرم نفس ، وكان يكرم الناس ، ويتلطف بهم ، فلم يزل كذلك حتى مات لا رحمه الله .

باب ذكر ابتداء دولة الصليحيين

وكان هذا الصليحى المسمى علي بن محمد[1] كثير الخلطة به ، والمعاشرة ، وكان أحظى من عنده ، وأطوع أهل مذهبه له ، وكان يأتيه من بلد **الأخروج** ، وهو سبع من أسباع **حراز** .

وكان الصليحي الملعون شهماً شجاعاً مقداماً ، فلما عرفه سليمان بذلك ، وحضرته الوفاة لا رحمه الله ، أوصاه بأهل مذهبه ، وأمرهم بالسمع والطاعة وسلم إليه مالًا كثيراً قد كان جمعه من أهل مذهبه .

ثم إن الصليحي الملعون أرسل إلي القرامطة من أوطان كثيرة بعيدة ، ومواضع متباينة ، ووعدهم بالوصول إليه ليوم معلوم ، فلما وصلوا إليه طلع بهم **مسار** ، وكان طلوعه ليلة الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وطليعته تسعمائة رجل وخمسون رجلًا .

فلما استقر بالجبل كتب إلى صاحب مصر ، وهو المستنصر من بني عبيد ، ووجه إليه بهدايا سبعين سيفاً مقابضها عقيق[2] ، واثني عشر سكيناً نصبها عقيق ، لأن للعقيق عندهم قدراً ، لأنه لا يكون إلا في اليمن

---

(١) سبق التعريف به .

(٢) العقيق : حجر كريم أحمر يعمل منه الفصوص ، يكون باليمن وبسواحل البحر المتوسط ، واحدته : عقيقة .

وخمسة أثواب وشي[1] ، وجام[2] عقيق ، وفصوص عقيق مع إهليلج[3] كابلي ومسك وعنبر .

فوجه معه المستنصر إليه برايات وألقاب ، وعقد له الولاية ، وكان سفيره خاله أحمد بن المظفر ، وأحمد بن محمد الذي انهدمت عليه الدار بعدن ، وهو أبو زوجة المكرم[4] المسماة بالسيدة بنت أحمد[5] .

فالحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربته ومخالطته والركون إلى قوله ؛ فإنه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويضلون من ركن إليهم ، لقد

(١) الوَشْيُ : نقش الثوب ، ويكون من كل لون .

(٢) الجامُ : إناء للشراب والطعام ، وقد غلب استعمالها فى قدح الشراب .

(٣) الإهْلِيلَج : شجر ينبت فى الهند وكابُل والصين ، ثمره على هيئة حبِّ الصنوبر الكبار .

(٤) المكرم هو أحمد بن على بن محمد الصليحى : (٠٠٠ ـ ٤٧٧ هـ = ٠٠٠ ـ ١٠٨٤ م) من ملوك اليمن ، تولى بعد مقتل أبيه سنة ٤٥٩ هـ وأقام بصنعاء ، ثم حارب قاتل أبيه ، سعيد بن نجاح ، المعروف بالأحول ، وكان قد ملك زبيداً ، فأخرجه المكرم ، واستولى على زبيد وأنقذ أمه الحرة الصليحية (أسماء بنت شهاب) وكانت فى أسر الأحول بزبيد ، وأصيب بالفالج ففوض أمور اليمن إلى زوجته السيدة أروى بنت أحمد الصليحية التى أشار إليها المؤلف أعلاه . وكان مقدماً حازماً ، شاعراً فصيحاً . توفى فى حصن أشيح « فى بلاد أنس » باليمن . انظر : سير النبلاء ، واللطائف السنية . وفى تاريخ اليمن لعمارة ، الهامش ٣ من الصفحة ٢٢٧ ترجيح وفاته فى نهاية ٤٧٧ . وفى أعلام الإسماعيلية ١١٨ ـ ١٢٥ وفاته فى جمادى الأولى ٤٧٧ .

(٥) اضطرب النقلة والمؤرخون فى تحقيق اسمها . والصواب أنها : أروى بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحى ، السيدة الحرة ، وتنعت بالحرة الكاملة وبلقيس الصغرى : مولدها ووفاتها (٤٤٤ ـ ٥٣٢ هـ = ١٠٥٢ ـ ١١٣٨ م) ملكة حازمة مدبرة ، وعندما أصيب زوجها المكرم فوض إليها الأمر ، وقامت بتدبير المملكة والحروب إلى أن مات المكرم وخلفه ابن عمه سبأ بن أحمد ، فاستمرت فى الحكم ، تُرفع إليها الرقاع ويجتمع عندها الوزراء وتحكم من وراء حجاب . وهى التى دبرت فى سنة ٤٨١ هـ (أو ٤٧٩) قتل سعيد الأحول أحد قاتلى علىّ بن محمد الصليحى والد زوجها . وهى من أواخر ملوك الصليحيين ، وتعد من زعماء الإسماعيلية .

سمعته مراراً وأسفاراً وهو يقول لأصحابه : قد قرب كشف ما نحن نخفيه ، وزوال هذه الشريعة المحمدية . والله سبحانه أكرم من أن يبلغه مأموله من فساد الدين وهلاك المسلمين .

خلعت العذر ولم أستر — وأظهرت ما ليس بالمظهر
وبحت بما كنت أسررته — من الغي والمذهب الأخسر
وتبت إلى الله مستغفراً — منيباً إنابة مستغفر
وحرمت ما كنت حللته — لقومك من كل مستنكر
وحذرت من فعلك العالمين — وعدت إلى المنهج الأنور
فإني جئت نحوك مستغفراً — فبالله بالله لا تغفر
اتحسبني انثنى صبوة — إلى رائق اللون والمنظر
وحَاشا لمثلي أن ينثني — إلى الكفر والمذهب الأغبر
فإن لم يكن غير هجر الملاح — فلا زال ذاك إلى المحشر

عباد الله ، إني لم أزل أتلطف بخاصته ، وأهل مذهبه ، ولم أقنع حتى خالطته وأطمعته بقبول ما هو عليه من مذهبه ، وضلالته وكفره وبدعته ، وأعماله الشنيعة ، وضلالته الفظيعة ، التي تنكرها القلوب ، وتشمئز منها النفوس .

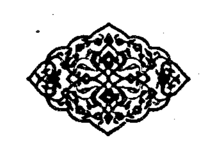
وذلك أن الصليحي ومن على مذهبه يدعون إلى ناموس خفي كل جهول غبي ، بعهود مؤكدة ، ومواثيق مغلظة مشددة على كتمان ما بويع عليه ودعي إليه ، وأنه لا يكشف لهم سراً ، ولا يظهر لهم أمراً ، ثم يطلعه على علوم مموهة ، وروايات مشبهة يدعوه في بدء الأمر إلى الله ورسوله ، كلمة حق يراد بها الباطل ، ثم يأخذه بعد ذلك بالرفض والبغض لأصحاب رسول الله ﷺ ، فإذا انقاد له وطاوعه ، أدخله في طرق المهالك تدريجاً ، ويأتيه بتأويل كتاب الله تحريفاً

وتعويجاً ، بكتب مصنعة ، وأقوال مزخرفة ، إلى أن يلبس عليه الدين ، ويخرجه منه كما يخرج الشعرة من العجين .

وقصارى أمره إبطال الشرائع ، وتحليل جميع المحارم ، فسارع إليه من لم يكن له بالشرع معرفة ، لأنه صادف أكثر الناس عواماً ، فأجابه إلى دعوته الرعاع والطغام ومن لم يكن له معرفة قبل بالإسلام ، من جنب وسنحان ويام[1] ، فحرّم الحلال ، وأحل الحرام ، وناقض بجهده الإسلام ، وأبطل الصلاة والصيام والزكاة والحج إلى بيت الله الحرام ؛ فأهلكهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق .

آخر رسالة محمد بن مالك رحمه الله رحمة الأبرار ، ووقاه عذاب النار .

تم بحمد الله .



---

(١) أسماء قبائل عربية .

مكتبة ابن سينا

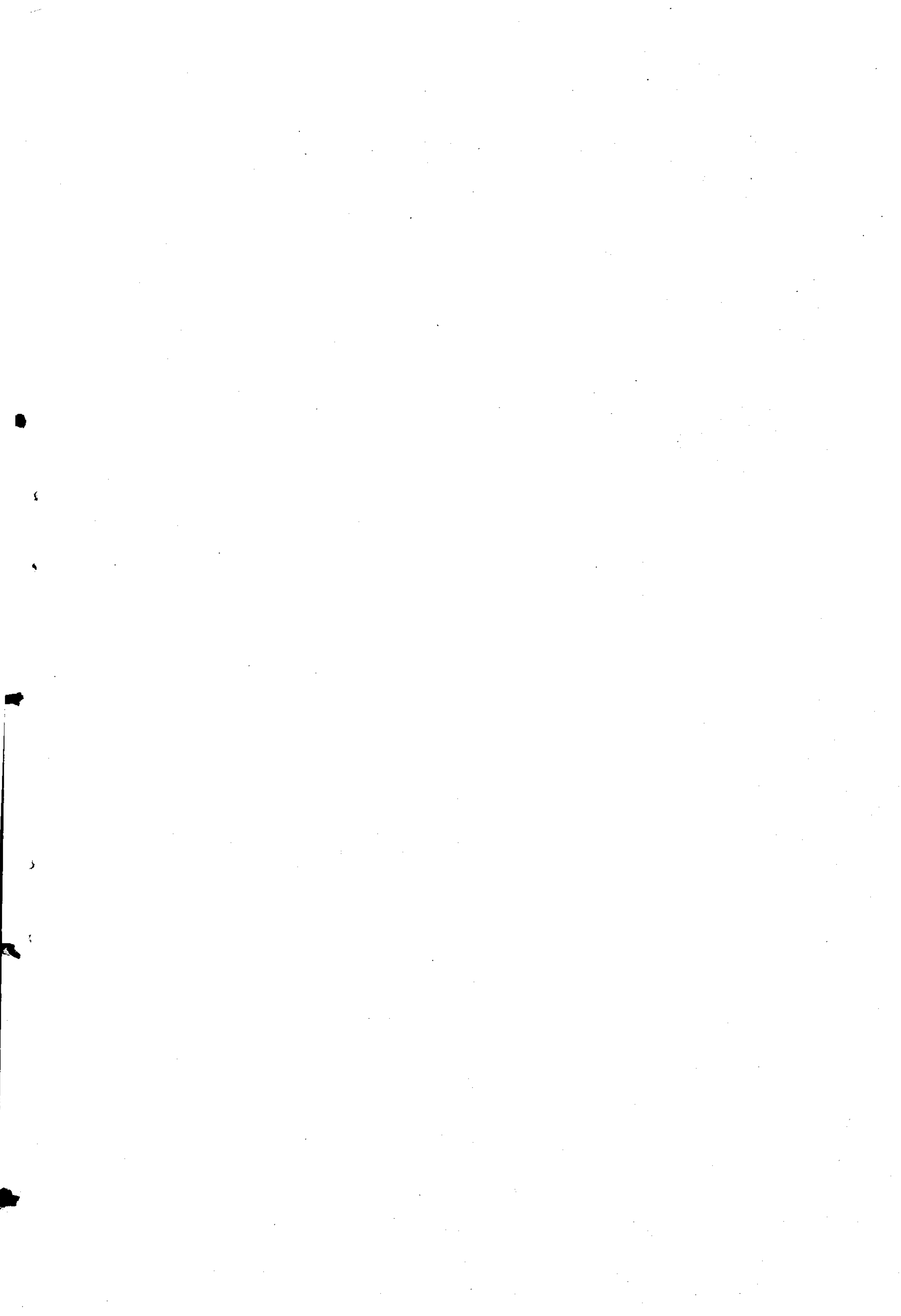


أسرار الباطنية والفرق الخفية

حركة الحشاشين

تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي

محمد عثمان الخشت



فهرس (كتاب كشف أسرار الباطنية)

الموضـــوع	الصفحة
دراسة التحقيق	٩
النص المحقق لكتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم	١٩
المقالة فى أصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها	٣١
باب ذكر ما كان من القداح وعقبه لعنه الله ومن تعلق بسببه ودخل فى ضلالته ومذهبه	٣٥
باب خروج ميمون القداح من سلمية إلى الكوفة	٣٧
باب ذكر أبى سعيد الجنابى	٣٨
باب ذكر الحسن بن مهران المعروف بالمقنع	٣٩
باب ذكر محمد بن زكريا	٣٩
باب ذكر على بن فضل الجدنى	٤٠
باب ذكر على بن فضل بن أحمد الجدنى	٥٠
باب ذكر أولاد المنصور	٦٧
باب ذكر ابتداء دولة الصليحيين	٧٢

تم بحمد الله